عقيدة القضاء والقدر

دكتور / أحمد مصطفى على حمد

أستاذ العقيدة والفلسفة

المساعد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين بقنا

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " (١) .

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً " (٢) .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً " (٣) .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، اللهم فقهنا في الدين ، وعلمنا التأويل يا رب العالمين ، الله أنا نسألك أن تصلي وأن تسلم على الأنبياء والمرسلين أجمعين وعلى خاتمهم الذي بعث رحمة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢ .
(٢) سورة النساء آية ١ .
(٣) سورة الأحزاب آيتا ٧٠ ، ٧١ .

للعالمين ٠

وبعد

فإن عقيدة القضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ، وعقيدة من العقائد التي أسسها الإسلام على الإيمان بالله عز وجل ، وبناها على المعرفة الصحيحة بذاته العليا وأسمائه الحسنى وصفاته العظمى ٠

وهذه العقيدة قد شغلت تفكير الإنسانية في أجيالها المتعاقبة ، وتعرضت تلك العقيدة لطعن عنيف وتشكيك سخيف يدعو إلى العجب والاستغراب ، إنه لم تكد تذهب آثار شمس النور المحمدي المتخلق مع البقية الباقية من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى ظهر في المسلمين مبدأ نعني القدر ، والقول بالجبر ومذهب الاعتزال والتشيع ، ونجم الشر واستطار وطرق كل الأقطار ، وتعرضت أمة الإسلام بعقائدها وبلادها ، وبكل وجودها إلى أعنف الهزات ، التي زلزلت كيانها ، تتهاوى تحت ضربات الحاقدين ، وطعنات الناقمين ، وإن من أشد ما يملؤ النفس أسى وحزناً أن أعداء الإسلام كانوا وما زالوا يفسدون على المسلمين عقائدهم ويشككونهم فيها حتى تخلوا عنها ، فضعفوا لذلك وهانوا ، ثم انبرى أولئك الأعداء يقولون إن ما أصاب المسلمين من الإنهيار والسقوط كان من جراء عقائدهم التي يعيشون عليها وخصوا بالذكر عقيدة القضاء والقدر ، وكان ذلك منهم إفكاً مفترى ، وكذباً مقلوباً مشوهاً للحقيقة ٠

وإنه لمن المؤسف حقاً أن أكثر المسلمين ما زالوا إلى اليوم لم يصرفوا داءهم ، ولا ما كادهم به أعداءهم ، إذ إننا نرى كثيراً منهم يلوك بلسانه عقيدة القضاء والقدر ، ويحتج بها مرة على فسقه وتهربه من مسئولياته ، ومرة يفترى بها على الله تعالى ربه وخالقه

ومدبر أمره ، وميسره إلى ما خلقه له ، فينسب إلى الله تعالى الظلم، ويعترض عليه في قضائه ، ومجاري أقداره ، وعادل أحكامه ، ولم يوقنوا أن عقيدة القضاء والقدر تدل على أن الله عز وجل ، علم ما يكون أنه يكون ، وكتبه كما يكون ، وأن علم الله عز وجل لا يحمل على طاعة أو معصية ، وأن القدر غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، كما قال القائل:

إنما الغيب كتاب صانه .. عن عيون الخلق رب العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى .. صفحة الحاضر حيناً بعد حين[1]

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ، وما يترتب عليه من مسائل إيمانية بالغة الخطورة رأيت الكتابة فيه ، عسى أن ينفع الله من يقرأه أو يسمعه ممن هم في بلبلة فكر واضطراب نفسي من عقيدة القضاء والقدر ، فينقطع بلابل أفكارهم ، ويزول اضطراب نفوسهم فيؤمنون ويرضون ويعملون بطاعة الله ورسوله ، فينجون ويسعدون في الدنيا والآخرة .

وقد تحدثت في ذلك البحث عن الموضوعات الآتية :

١ ــ تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً .

٢ ــ حكم الإيمان بالقضاء والقدر .

٣ ــ درجات الإيمان بالقضاء والقدر .

٤ ــ مزايا الإيمان بالقضاء والقدر .

٥ ــ الاحتجاج بالقضاء والقدر .

٦ ــ فائدة الدعاء مع القضاء والقدر .

---

(١) عقيدة المسلم ـ محمد الغزالي ص ١٠٩ ط دار الدعوة .

٧ ــ الرضا بالقضاء والقدر .

٨ ــ الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب .

٩ ــ إذا ذكر القدر فأمسكوا .

١٠ــ أفعال العباد بين القضاء والقدر .

تعريف القضاء لغة :

القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للغة العربية من حيث كلمات الشره وألفاظه ٠

ولهذا يلزمنا الرجوع إليه للتعرف على مادة ــ قضى ــ التي أخذ منها القضاء ٠

وإن الباحث في القرآن العظيم يجد أن لفظ القضاء لم يرد في القرآن الكريم وإنما ذكرت مشتقاته في آيات كثيرة٠ فقد وردت مادة القضاء في القرآن في ثلاثة وستين موضعاً تدور حول عدة معان وفي مواطن متعددة ٠

١ ــ فقد جاءت بمعنى الحكم قال الله تعالى :

" **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** " (١) .

وقال تعالى : " **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ** " (٢) .

وقال تعالى : " **فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ** " (٣)

٢ ــ وجاءت بمعنى الأمر

قال تعالى : " **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** " (٤) .

أي أمر ربك ألا تكون العبادة إلا له وعلى هذا فالقضاء أمر الله الأزلي ٠

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ ٠
(٢) سورة غافر آية ٢٠ ٠
(٣) سورة يونس آية ٤٧ ٠
(٤) سورة الإسراء آية ٢٣ ٠

٣ ــ وجاءت بمعنى الإرادة

قال تعالى : " إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (١)

وقال تعالى : " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ " (٢) .

٤ ــ وجاءت بمعنى الخلق

قال تعالى : " فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ " (٣) .

٥ ــ وجاءت بمعنى التسليط

قال عز وجل : " فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ " (٤) .

٦ ــ وجاءت بمعنى الإخبار والإعلام

قال تعالى : " وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً " (٥) .

وقال عز وجل : " إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ " (٦) .

٧ ــ وجاءت بمعنى الأداء قال تعالى :

" فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ " (٧) .

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٧ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦ .
(٣) سورة فصلت آية : ١٢ .
(٤) سورة سبأ آية ١٤ .
(٥) سورة الإسراء آية : ٤ .
(٦) سورة القصص آية ٤٤ .
(٧) سورة النساء آية : ١٠٣ .

وقال عز وجل " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (١).

وقال عز وجل : " فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً " (٢).

٨ ــ وجاءت بمعنى الإتمام والإكمال

قال تعالى : " فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ " (٣).

وقال عز وجل "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً " (٤).

وقال عز وجل " لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً " (٥)

وقال عز وجل " وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ " (٦)

٩ ــ وجاءت بمعنى أمات أو قتل

قال تعالى : " فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ " (٧).

وقوله عز وجل " يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ " (٨).

وقوله عز وجل " وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ " (٩).

---

(١) سورة الجمعة آية ١٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٣ .
(٣) سورة القصص آية ٢٩ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٢٧ .
(٥) سورة الأنفال آية ٤٢ .
(٦) سورة طه آية ١١٤ .
(٧) سورة القصص آية ١٥ .
(٨) سورة الحاقة آية ١٧ .
(٩) سورة الزخرف آية ٧٧ .

١٠ ــ وجاءت بمعنى التقرير والتحديد

قال تعالى " **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ** " (١).

وقال عز وجل " **وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً** ".(٢) .

وقال عز وجل " **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً** " (٣) .

ونكتفي بذكر الآيات التي وردت فيها مادة القضاء ونذكر ما جاء في لسان العرب إذ يقول ابن منظور " القضاء أصله القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاضي إذا حكم وفصل ، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق .

وقال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه ، وكل من أحكم عمله ، أو أتم ، أو ختم ، أو أدى أداء ، أو أوجب ، أو أعلم ، أو أنفذ ، أو أمضى فقد قضى ، قال وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث ، ومنه القضاء المقرون بالقدر ، والمراد بالقدر التقدير وبالقضاء الخلق (٤).

---

(١) سورة الأنعام آية ٢ .
(٢) سورة مريم آية ٢١ .
(٣) سورة مريم آية ٧١ .
(٤) لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج ٥ حرف القاف ص ٣٦٦٥ ط دار المعارف

تعريف القدر لغة :

قد وردت مادة القدر في القرآن الكريم في مائة وواحد وثلاثين موضعا تدور حول عدة معان :

١ ــ فقد جاءت بمعنى المقدار قال تعالى : " **قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** " (١).

وقوله تعالى : " **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** " (٢).

وقوله تعالى : " **مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ** " (٣).

وقوله تعالى " **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** " (٤).

٢ ــ وقد جاءت مادة القدر بمعنى التحديد والترتيب وتقسيمه للأشياء أزلاً وفق علمه السابق .

قال تعالى " **وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** "(٥).

٣ ــ وجاءت مادة القدر بمعنى الكتابة في اللوح المحفوظ قال تعالى : " **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ** " (٦) ومعنى هذا كتب الله الموت على الخلائق في اللوح أزلاً وفق علمه السابق .

٤ ــ وجاءت بمعنى العلم قال تعالى " **إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا**

---

(١) سورة الطلاق آية ٣ .
(٢) سورة القمر آية ٤٩ .
(٣) سورة عبس آية ١٩ .
(٤) سورة الحجر آية ٣١ .
(٥) سورة فصلت آية ١٠ .
(٦) سورة الواقعة آية ٦٠ .

لَمِنَ الْغَابِرِينَ " (١).

وقوله تعالى " وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " (٢).

٥ ــ وجاءت بمعنى العظمة والشرف

قال تعالى " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " (٣).

وقال تعالى " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " (٤).

٦ ــ وجاءت بمعنى التضييق

قال تعالى " اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ " (٥).

وقال تعالى " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ " (٦).

وقال تعالى " وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ "(٧).

وقال تعالى " وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ " (٨)

٧ ــ وجاءت بمعنى القدرة

قال تعالى " فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ " (٩).

وقال تعالى " أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ " (١٠).

---

(١) سورة الحجر آية ٦٠ .
(٢) سورة المزمل آية ٢٠ .
(٣) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٤) سورة القدر آية ١ .
(٥) سورة الرعد آية ٢٦ .
(٦) سورة الأنبياء آية ٨٧ .
(٧) سورة الفجر ١٦ .
(٨) سورة الطلاق آية ٧ .
(٩) سورة المرسلات آية ٢٣ .
(١٠) سورة البلد آية ٥ .

ونكتفي بهذا القدر من الآيات التي ورد فيها لفظ القدر ويلاحظ من خلالها أن القدر في اللغة له معان كثيرة . ولكن تقدير الله للمخلوقات الذي يستفاد من هذه الآيات ذكر له المفسرون وجوهاً ثلاثة .

أولاً : المقدار والتقدير الكمي كما يشير إليه قوله تعالى : " وكل شيء عنده بمقدار " أي جعل الأشياء على مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها وصفاتها وأفعالها وآجالها [١].

فالتقدير بهذا المعنى يتناول المخلوقات في ذواتها وصفاتها كل واحد على حسبه ، فقدر السموات والكواكب والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والإنسان بمقدار مخصوص من الجثة والعظم ، وقدر لكل واحد منها من البقاء مدة معلومة ، ومن الصفات والألوان والطعوم والروائع والأيون والأوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقداراً ومعلوماً على ما يشير إليه قوله تعالى " **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ** " [٢].

ثانياً : التقدير والإحكام على مقتضى الحكمة الإلهية وتهيئة المخلوق لما يصلح له كما يشير إليه قوله تعالى " فقدرنا فنعم القادرون " فالمعنى أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير تقدير، كما يرمي الرامي السهم فيقع في موضع لم يكن قد قدره ، بل خلق الله كما قدر [٣] . ومثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المستوي الذي تراه فقدره للتكاليف المنوطة به في باب الدين

---

(١) روح المعاني ـ للألوسي ـ ٣ / ١٠٤ المطبعة المنيرية .
(٢) مفاتيح الغيب ـ الرازي ـ ٣١ / ١٠٤ طبعة عبد الرحمن محمد
(٣) مفاتيح الغيب ٣٩ / ٧٣ .

والدنيا [١].

ثالثاً : تقدير الشيء وكتابته في اللوح المحفوظ قبل وجوده ووقوعه وهذا المعنى راجع إلى القدر الذي يذكر مع القضاء ، فيقال بقضاء الله وقدره [٢].

وقد جاء في المعجم الوسيط تعريف القدر بأنه : مقدار الشيء وحالاته المقدرة له ، وفي التنزيل العزيز " إنا كل شيء خلقناه بقدر " و ــ وقت الشيء أو مكانه المقدر له و ــ القضاء الذي يقضي به الله على عباده أقداره " [٣].

يلاحظ من خلال التعريف اللغوي للقضاء والقدر أنهما أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضهُ [٤] .

تعريف القضاء والقدر في الاصطلاح :

القضاء في الاصطلاح هو : إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته [٥] .

والقدر معناه : علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل فهو راجع إلى صفة العلم [٦] .

وبعض العلماء عرف كلاً منهما بتعريف الآخر ، ولا ضرر فمرجع القضاء والقدر إذاً إلى العلم والإرادة والقدرة .

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٤ / ٤٧ .
(٢) المرجع السابق ٢٤ / ٤٧ .
(٣) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ج٢ باب القاف ص ٧٤٥ .
(٤) لسان العرب ـ ابن منظور ج٥ باب القاف ص ٣٦٦٥ ط دار المعارف .
(٥) تبسيط العقائد الإسلامية ـ حسن أيوب ص ١٠٤ طبعة دار التراث العربي .
(٦) المرجع السابق نفس الصفحة .

وقيل إن القدر هو جملة القوانين التي تضبط شئون الحياة والأحياء ، وتنتظم على أساسها ظواهر الكون وبواطنه في الأرض والسموات وما بينهما ، فإن خلق الأشياء في ذرات وخلايا تخضع في كمها وكيفها لنسب دقيقة دائمة وتؤدي أغراض وجودها في خط لا تضل عنه ولا تحيد [١].

وقيل إن القدر هو : علم الله تعالى الأزلي بما أراد إيجاده من العوالم والخلائف ، والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ .

والقضاء هو : الذي يقضي بوجوده في كميته وكيفيته وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن آياته ولا يتقدم عما حدد له من زمان ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال [٢] .

وقيل إن القدر هو " النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها [٣] .

وقال الإمام " ابن حزم الظاهري " في تعريف القضاء والقدر بأنهما " حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه ، أو تكوينه أو ترتيبه على صفة كذا إلى وقت كذا [٤] .

يتبين مما سبق من تعريف القضاء والقدر أن القدر أشمل

---

(١) عقيدة المسلم ـ محمد الغزالي ص ١٢٩ ط دار الدعوة ١٩٨٩م .
(٢) عقيدة المؤمن ـ أبو بكر الجزائري ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ط المكتبة التوفيقية .
(٣) العقائد الإسلامية ـ سيد سابق ص ٩٥ .
(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ج ٣ ص ٧٨ ط عكاظ .

وأعم من دائرة القضاء .

فالقدر تدبير ... والقضاء حكم .

والقدر تصميم ... والقضاء تنفيذ .

يقول الإمام الغزالي " القدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر عز وجل... والقضاء هو الخلق والفرق بين القضاء والقدر ، أن القدر أعم والقضاء أخص ... ثم يقول :

فتدبير الأوليات قدر ...وسوق تلك الأقدار بمقاديرها وهيئاتها إلى مقتضياتها هو القضاء ...

القدر إذاً : هو تقدير الأمر بدءاً والقضاء : فصل ذلك الأمر وقطعه كما يقال قضى القاضي [1].

ويقول " الراغب الأصفهاني :

القضاء من الله تعالى أخص من القدر ، لأنه الفصل بين التقدير ، فالقدر هو التقدير ، والقضاء هو الفصل والقطع ، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل ، والقضاء بمنزلة الكيل .

وهذا كما قال " أبو عبيدة بن الجراح " رضى الله عنه لأمير المؤمنين " عمر بن الخطاب "رضى الله عنه لما أراد الفرار من الطاعون بالشام : أتفر من القضاء يا عمر ؟ .

فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ أفر من قضاء الله إلى قدر الله .

تنبيهاً أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله ، فإذا

---

(١) القضاء والقدر بين الفلسفة والدين - عبد الكريم الخطيب ص ١٧٧ ط دار الفكر العربي .

قضى فلا مدفع له ، ويشهد لذلك قوله تعالى " وكان أمراً مقضيا " وقوله " كان على ربك حتماً مقضياً " وقوله " وقضى ربك " أي فصل تنبيهاً أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه [١].

فعمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ قد فهم أن دائرة القدر أوسع ، وأن الأمر في هذه الحادثة لم يخرج من دائرة القدر إلى دائرة القضاء ، وهي دائرة التنفيذ ، فهو يفر من قضاء الله المتحرك إلى قدرة الساكن ٠

حكم الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالله تعالى يستوجب الإيمان بما قضى وقدر، وبما أعطى ومنع ، إذ أن كل شيء منه وصائر إليه ٠

فالإيمان بالقضاء والقدر واجب لأنه الركن السادس من أركان الإيمان كما حدده النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه مع جبريل عليه السلام ويؤيد ذلك أيضاً الدليل القاطع من القرآن الكريم ٠

وسوف نذكر بعض الأدلة من القرآن والسنة التي تثبت أن القضاء والقدر قد كتبا في اللوح المحفوظ ٠

أولاً : الأدلة من القرآن العظيم :

١ ــ قول الله عز وجل " **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** " [٢] ٠

٢ ــ وقوله عز وجل "**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**" [٣] ٠

---

(١) المفردات ـ الراغب الأصفهاني ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ط مصطفى البابي الحلبي

(٢) سورة القمر آية ٤٩ ٠

(٣) سورة يس آية ١٢ ٠

٣ ــ وقوله عز وجل " قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً " (١).

٤ ــ وقوله عز وجل " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا " (٢).

٥ ــ وقوله عز وجل "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" (٣).

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية التي تبين ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر .

١ ــ عن عمر ــ رضى الله عنه ــ قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " قال صدقت .

فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال صدقت ، فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

---

(١) سورة الطلاق آية ٣ .
(٢) سورة التوبة آية ٥١ .
(٣) سورة الحديد آية ٢٢ .

قال فأخبرني عن الساعة : قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل " .

قال فأخبرني عن إماراتها ، قال " أن تلد الأمةُ ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان " ثم انطلق فلبث مليا ، ثم قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " [١].

فمن هذا الحديث يتبين أن القضاء والقدر هما الركن السادس من أركان الإيمان والإيمان بهما واجب .

٢ ــ قال عبادة بن الصامت لابنه : يا بني ، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : " إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " يا بني : إني سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول " من مات على غير هذا فليس مني " [٢].

٣ ــ عن أبي هريرة أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال " تحاج آدم وموسى فحجَّ آدم موسى ، قال له موسى : أنت آدم الذي أغويت الناس أخرجتهم من الجنة ؟ قال له آدم : أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته؟ قال نعم ، قال : أفتلومني على أمر قد قدر علي قبل أن

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام والإيمان ـ المجلد الأول ص ١٥٧ ط دار إحياء التراث العربي .

(٢) رواه أبو داود في السنن ٥ / ٧٦ .

أخلق " [١].

وفي رواية " أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ثلاثاً " [٢].

٤ ــ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ــ رضىَ الله عنه ــ قال : حدثنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو الصادق المصدوق قال : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة قبل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بكتب أربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فو الله الذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها [٣].

٥ ــ عن أبي العباس عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا غلام ، أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف [٤] .

---

(١) رواه مسلم ص ٤٦ كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام حديث ١٤ انظر موطأ مالك ٤٦ كتاب القدر .

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي باب القدر ص ١٤٦ المجلد الثاني .

(٣) رواه الشيخان ـ اللؤلؤ والمرجان ٢ / ٣٤٩ .

(٤) رواه الترمذي في صفة القيامة وقال حسن صحيح ٤ / ٦٦٧ .

يتبين مما سبق ــ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ــ أن القضاء والقدر ثابت بالأدلة القطعية وأن الإيمان بهما واجب وضروري ، بل ترشد إليه الفطرة السليمة ، وسهل على من له فكر أن يلتفت إلى أن كل حادث له سبب يقارنه في الزمان وأنه لا يرى من سلسلة الأسباب إلا ما هو حاضر لديه ، ولا يعلم ماضيها وحاضرها ومستقبلها إلا مبدع نظامها ، وهو الله سبحانه وتعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

وعلى هذا ، فمن كمال الإيمان بالله سبحانه وتعالى : الإيمان بقدره ، والرضى بقضائه .

درجات الإيمان بالقدر :

إن الإيمان بالقدر يقوم على درجات أربع وهي :

درجة العلم ، ودرجة كتابة المقادير ، ودرجة المشيئة والإرادة ، ودرجة الخلق ، إذ إن معنى القضاء والقدر يرجع إلى الصفات الإلهية الثلاثة العلم والإرادة والقدرة .

الدرجة الأولى : العلم ومعناه : الإيمان بعلم الله سبحانه وتعالى المحيط بجميع الأشياء ، فإنه سبحانه علم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ومن ذلك الخلق فإنه سبحانه علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم ، وأحوالهم وأعمالهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم أهل النار قبل أن يخلقهم ، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم كل ذلك بعلمه الذي هو صفته أو مقتضى اسمه العليم الخبير والذي هو موصوف به أزلاً وأبدا .

وهذه المرتبة قد اتفق عليها جميع الأنبياء والرسل عليهم

الصلاة والسلام ، واتفق عليها السلف الصالح ومن تبعهم .

وإليك بعض الأدلة من الكتاب والسنة التي تثبت هذه الدرجة:

أولاً : الأدلة من الكتاب :

١ ــ قوله تعالى " **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** " (١).

٢ ــ قوله تعالى " **وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً** " (٢).

٣ ــ قوله تعالى " **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً** " (٣).

٤ ــ قوله تعالى " **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** " (٤).

٥ ــ وقوله تعالى " **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ** " (٥).

وغير ذلك من الآيات القرآنية التي يضيق عنها المقام .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٩ .
(٢) سورة الطلاق آية ١٢ .
(٣) سورة الجن آية ٢٨ .
(٤) سورة لقمان آية ٥٩ .
(٥) سورة الرعد ٨ : ١٠

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية المطهرة :

١ ــ ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن الإمام على ابن أبي طالب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكث به فرفع رأسه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ما من نفس منفوسة إلا وقد علم منزلتها من الجنة والنار ، قالوا : يا رسول الله فلم نعمل ، أفلا نتكل ؟ قال ــ صلى الله عليه وسلم : اعملوا فكل ميسر لما خلق له [١]. ثم قرأ " **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** "[٢].

٢ ــ ما رواه البخاري ومسلم أيضاً عن عمران بن حصين قال: قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال نعم. قال : فَلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : كل يعمل لما خلق له [٣].

وغير ذلك من الأحاديث النبوية التي يضيق عنها المقام .

الدرجة الثانية : الكتابة :

وهي الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى لما علم الأشياء بعلمه الذي هو موصوف به أزلاً وأبدا كتب ذلك في اللوح المحفوظ [٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ج١١ ص ٤٩٤ ، ورواه مسلم في صحيحه ج٤ ص ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ .

(٢) سورة الليل من الآية ٥ إلى الآية ١٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ج٣ ص ٢١٨ ، ورواه مسلم في صحيحه ج٤ ص ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ .

(٤) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ابن قيم الجوزية - تحرير الحساني حسن ط مكتبة التراث .

أولاً : الأدلة من القرآن العظيم :

١ ــ يقول المولى عز وجل " **وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** " (١).

٢ ــ وقوله عز وجل : " **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** " (٢).

٣ ــ وقوله عز وجل " **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** " (٣).

٤ ــ وقوله عز وجل " **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** " (٤).

٥ ــ وقوله عز وجل " **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** " (٥) أي مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه ، ومكتوب عليهم إذا فعلوه .

والزبر هي كتب الكتبة ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم " **كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ** " (٦). والمعنى أنه يحصى عليهم كتب أعمالهم (٧) .

---

(١) سورة يونس آية ٦١ .
(٢) سورة الحج آية ٧٠ .
(٣) سورة التوبة آية ٥١ .
(٤) سورة الحديد آية ٢٢ .
(٥) سورة القمر آية ٥٢ .
(٦) سورة الأنفطار من آية ٩ إلى آية ١١ .
(٧) مفاتيح الغيب ـ الرازي ـ مجلد ٢٩ ، ٣٠ ص ٦٩ ط دار الباز بمكة المكرمة

ثانياً : الأدلة من السنة :

١ ــ روى البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كان الله ولا شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض " (١).

٢ ــ ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال " أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ، قال : وما اكتب ؟ قال : اكتب القدر يجري بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة (٢).

٣ ــ ما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر بن العاص قال سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول" كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء (٣) .

الدرجة الثالثة من درجات القدر : المشيئة :

الإيمان بمشيئة الله تعالى من مراتب الإيمان بالقدر ، فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ، وما لم يشأ لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ، والمسلمون جميعاً من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والأدلة من القرآن العظيم والسنة النبوية تؤيد ذلك وتؤكده .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الخلق ج ٦ ص ٢٨٦ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٤٩٨ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر ج٤ ص ٢٠٤٤ .

أولاً : الأدلة من القرآن العظيم :

١ ــ قوله عز وجل " **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** " (١).

٢ ــ قوله عز وجل " **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** "(٢)

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

١ ــ ما رواه ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ قال " جاء رجل إلى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكلمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " ما شاء الله وشئت . فقال صلى الله عليه وسلم : أجعلتني لله عدلاً ؟ بل ما شاء الله وحده (٣).

٢ ــ ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى الأشعرى قوله صلى الله عليه وسلم " اشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء " (٤) .

٣ ــ ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ــ رضى الله تعالى عنه ــ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل .

---

(١) سورة الإنسان آية ٣٠ .

(٢) سورة التكوير آية من ٢٧ ـ ٢٩ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ص ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧ والحاكم عن ابن عباس [انظر كنز العمال ج٣ حديث ٨٣٧٧] .

(٤) رواه البخاري ج١٠ ص ٣٧٦ ، ورواه مسلم في البر برقم ٢٦٧٤ .

فإن لو تفتح عمل الشيطان [١] .

٤ ــ ما روى عن الأوزاعي قال : " أتى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يهودي فسأله عن المشيئة فقال " المشيئة لله تعالى . قال فإني أشاء أن أقوم ، قال قد شاء الله أن تقوم ، قال فإني أشاء أن أقعد ،قال فقد شاء الله أن تقعد . قال فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة ، قال فقد شاء الله أن تقطعها ، قال فإني أشاء أن أتركها . قال فقد شاء الله أن تتركها ، قال فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال : لقنت حجتك كما لقنها إبراهيم عليه السلام " [٢] قال ونزل القرآن فقال " **مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** " [٣] .

يلاحظ مما سبق أن مشيئة الله تعالى هي المتعلقة بكل شيء أي أنها الموجبة لكل موجود، كما أن عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء ، فهما الموجبتان ، ما شاء الله وجب وجوده ، وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه " وهذا أمر يعم كل مقدور من الأعيان والأفعال والحركات والسكنات ، فسبحانه أن يقع في ملكه ما لا يشاء ، أو أن يشاء شيئاً فلا يكون [٤].

الدرجة الرابعة : خلق الأعمال :

إن مسألة خلق الله سبحانه وتعالى الأعمال وتكوينه وإيجاده لها ،أمر لا يماري فيه أحد ، إلا من انحرف عن جادة الصواب .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في القدر / ٢٤ ، وابن ماجه في الزهد / ١٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل المجلد الخامس حديث رقم ١٩١ ص ٢١٣ ط مؤسسة الرسالة .

(٣) سورة الحشر آية ٥ .

(٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر - ابن قيم الجوزية ص ٤٧ ط التراث بالقاهرة .

فهو سبحانه وتعالى خالق كل شيء ، وما من ذرة في السموات والأرض إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكونها ، جل شأنه ، لا خالق غيره ولا رب سواه .

وليس هناك منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء ، وبين كون العبد فاعلاً لفعله ، فالعبد هو الذي يوصف بفعله فهو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر والمصلي والصائم ، والله خالقه وخالق فعله لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل [١] .

وهذا ثابت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة .

أولاً : الأدلة من القرآن العظيم :

١ ــ قول الله تعالى " **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** " [٢] .

٢ ــ وقوله عز وجل " **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** " [٣] .

٣ ــ وقوله عز وجل " **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** " [٤] .

٤ ــ وقوله عز وجل : " **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** " [٥] .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٥٤ ط مكتبة التراث الإسلامي .
(٢) سورة الزمر آية ٦٢ .
(٣) سورة الفرقان آية ٢ .
(٤) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٥) سورة الصافات آية ٩٦ .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن الله يصنع كل صانع وصنعته " [١].

فهذه الأدلة القطعية تدل دلالة يقينية على أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء والمتصرف في ملكه كيف يشاء لا إله غيره ولا خالق سواه ، والعباد فاعلون حقيقة والله خلق أفعالهم أي خلق فيهم قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم التي تقع بها الأفعال ، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال [٢].

وخلاصة ما تقدم من درجات الإيمان بالقضاء والقدر ، أن الذي ثبت من نصوص الكتاب والسنة أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها ، وأن مشيئة الله تعالى عامة وشاملة لجميع الكائنات ، فلا تقع منها شيء إلا بتلك المشيئة ، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئة إنما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه القديم ، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم ، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء إما بالمدح والمثوبة وإما بالذم والعقوبة ، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجاداً وخلقا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها .

---

(١) رواه البخاري في خلق أفعال العباد رقم ١١٧ ص ٣٩ ورواه الحاكم في المستدرك ج١ ص ٣١ ورجاله ثقات .

(٢) شرح العقيدة الواسطية ـ ابن تيمية ص ١٥٦ .

مزايا الإيمان بالقضاء والقدر :

إن من مزايا الإيمان بالقضاء والقدر أن الذي يؤمن به يعيش في سعادة دائمة ، لأنه مطمئن دائما على حاضره ومستقبله ، يأخذ بالأسباب ويترك تحقيق الآمال على مولاه ، إن أصابه خير شكر فكان خيراً له ، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له ، فهو الفائز في كلتا الحالتين : لأنه ينال ثواب الشاكرين والصابرين ، قال تعالى " **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** " (١) وقال أيضاً " **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** " (٢).

والمؤمن بالقضاء والقدر لا تبطره النعمة ، ولا تيئسة المصيبة لأنه يعلم أن كل شيء بقدر ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وقد يكون في الأمر المكروه له فائدة كبيرة ، وفيما يحب الشر المستطير قال تعالى " **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** " (٣) .

وإن الإيمان بالقضاء والقدر سبب في الهدوء النفسي والطمأنينة القلبية فلم يظهر ما يسمى بالعقد النفسية أو الأمراض العصبية أو حوادث الانتحار . بل يكون الإنسان متفائلاً دائماً ، راضياً بما قسم الله تعالى له ، لا يعرف التشاؤم سبيلاً إلى قلبه ، ولا اليأس طريقاً إلى نفسه ولا يملك التحسر على ما فاته من أمور الدنيا، بل يكون دائماً في خير كما قال صلى الله عليه وسلم " عجباً

---

(١) سورة إبراهيم آية ٧ .
(٢) سورة البقرة من الآية ١٥٥ ـ إلى الآية ١٥٧ .
(٣) سورة البقرة آية ٢١٦ .

لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له [١] .

كما أن من مزايا الإيمان بالقضاء والقدر أنه يكسب صاحبه كثيراً من الصفات المحمودة كالشجاعة والإقدام على اقتحام المهالك التي ترجف لها قلوب الأسود .

هذا الاعتقاد يطبع النفس على الثبات واحتمال المكاره ، ومقارعة الأهوال ، ويحليها بحلي الجود والسخاء ، ويدعوها إلى الخروج عن كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح والتخلي عن لذة الحياة ، كل هذا في سبيل الحق الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة والذي يعتقد بأن الأجل محدود ، والرزق مكفول ، والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء .

لقد كان الإيمان بالقضاء والقدر سبباً في تقدم المسلمين في جميع مجالات الحياة ، حتى سادوا الدنيا كلها في مدة وجيزة أشبه ما تكون بالأحلام ، ويوم أن ضعف الإيمان بعقيدة القضاء والقدر تأخر المسلمون وأصبح حالهم على ما نراه اليوم .

إن إيمان المسلم بأن ما شاء الله كان ، وما قدر فعل ، وإيمانه بتحديد الآجال ، وضمان الأرزاق ، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ، إن إيمانه بذلك دفعه إلى الإقدام والشجاعة والجرأة والبسالة ، فكان المسلمون رهباناً بالليل ، فرساناً بالنهار ، لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها .

إن إيمان " خالد بن الوليد " بالقضاء والقدر هو الذي جعله

---

(١) رواه مسلم في الزهد ج٤ / ٢٢٩٥ .

يحقق هذه البطولات العظيمة ، وهذه الانتصارات الضخمة في مدة قصيرة ، تشبه المعجزات ، فلا مجال للخوف أو الجبن أو الفزع أو الحزن فقد كان شعاره قول الله عز وجل " **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** " [١].

ورغم هذه الجسارة الفريدة من خالد بن الوليد لم يمت وسط المعارك ، وإنما مات على فراشه ، وهو يردد قولته المشهورة : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربه بسيف ، أو رميه بسهم ، أو طعنه برمح ، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي ، فلا نامت أعين الجبناء [٢].

هذا الاعتقاد ثبت به أقدام بعض الأعداء القليلة أمام جيوش يغص بها القضاء ، ويضيق بها بسيط الغبراء ، فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على أعقابهم .

وبهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق ، وانقضت شهبها على الحيارى في هبوات الحروب من أهل المغرب .

ومن مزايا الإيمان بالقضاء والقدر أنه هو الذي حمل المسلمين على بذل أموالهم وجميع ما يملكون من رزق في سبيل إعلاء كلمة الله ، لا يخشون فقراً ولا يخافون فاقة .

وهو الذي دفعهم إلى حمل أولادهم ونسائهم ومن يكون في حجورهم إلى ساحات القتال في أقصى بلاد العالم ، كأنما يسيرون إلى الحدائق والرياض وكأنهم أخذوا لأنفسهم بالتوكل على الله أمانا من كل غادرة وأحاطوها من الاعتماد بحصن يصونهم من كل فاقة .

---

(١) سورة التوبة آية ٥١ .

(٢) السيرة النبوية للشيخ عبد المقصود نصار والشيخ الطيب النجار ج٤ ص ٧٠

ومن مزايا الإيمان بالقضاء والقدر أنه لا يدفع إلى السلبية ، ولا يمنع المسلمين من الأخذ بالأسباب ، ولا يحملهم على التحلل من مسئولية التكليف ، ولا يحملهم على عيشة التواكل والتمني الفارغ ، ولا تشكل هذه العقيدة عقبةً في طريق تقدمهم وإزدهارهم كما يزعم خصوم الإسلام .

الاحتجاج بالقضاء والقدر :

يراد من الاحتجاج بالقضاء والقدر ، الاعتذار عن الذنب لدفع اللوم والمؤاخذة ، وبعبارة أخرى إرادة الشخص العاصي التنصل من المسئولية ودفع استحقاق العقاب واللوم على ما اقترفه من المعصية مستنداً في ذلك إلى أنها وقعت بمشيئة الله تعالى وإرادته .

ولكن نقول إن الاحتجاج بالقدر منه ما هو جائز ومنه ما هو ممنوع .

أولاً : الاحتجاج الجائز : يجوز الاحتجاج بالقدر في الحالات التي لا يكون فيها إبطال للشرع ، ولا معارضة له ، وذلك بأن يكون الاحتجاج بالقدر بعد وقوع الذنب ، وبعد التوبة منه ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العودة إليه ، فيكون في ذكر القدر عندئذ اعتراف به ، وتثبيت للإيمان به ، فيكون من باب الإخبار بالواقع فقط .

ومن هذا النوع ما روى في الحديث الصحيح عن أبي هريرة : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال " تحاج آدم وموسى فحج آدم موسى ، فقال له موسى : " أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء ، واصطفاك على الناس برسالته ؟ قال نعم قال

أفتلومني على أمر قد قدر عليَّ قبل أن أخلق " [١].

ففي هذا الحديث قد أقر سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ احتجاج آدم بالقدر وحكم له بمحاجة موسى ــ عليهم الصلاة والسلام ــ لأن احتجاج آدم بالقدر كان بعد وقوع المعصية وبعد التوبة منها . قال تعالى " **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ** " [٢]

ثانياً : الاحتجاج الممنوع :

وهو الاحتجاج بالقدر في حال ارتكاب الذنب ، والإصرار عليه، أو في حال العزم على فعله في المستقبل أو في حال ترك الأمر الواجب أو العزم على تركه ، وهذا النوع لا يجوز الاحتجاج به ، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يقترف الإنسان السيئات ويفعل المعاصي، ثم يقول قضاء الله ، وهذا أمر قدره الله عليَّ فلا حيلة لي في ذلك ، ومن الأمثلة التي تروى في هذا الصدد ما ورد أن عمر بن الخطاب أوتي له بسارق فقال له عمر : لم سرقت ؟ فقال الرجل : قضاء قضاه الله عليَّ ، فأمر عمر بقطع يده وجلده . فروجع عمر في ذلك إذ عاقب الرجل بأكثر مما يستحق ، فحد السرقة هو القطع فقط أما الجلد فأمر زائد لا مبرر له ، فقال عمر : القطع للسرقة والجلد للكذب على الله ، إذ من أين للسارق أن يعلم أن الله قد كتب عليه ذلك [٣] .

وقد قيل لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما إن قوماً يزنون ويشربون الخمر ويقتلون النفس ويسرقون ويقولون " كان في علم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : ٤٦ كتاب القدر حديث ١٤ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام .

(٢) سورة طه آيتان ١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان أ.د / محمود حمدي زقزوق ص ٤٥ .

الله فلم نجد بداً منه ، فغضب عبد الله وقال " سبحان الله العظيم (قد كان في علم الله أنهم يفعلون ، ولم يحملهم علم الله على فعلها ، سمعت أبي عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ يقول إنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " مثل علم الله فيكم كمثل السماء التي أظلتكم والأرض التي أقلتكم فكما لا تستطيعون الخروج من السماء والأرض فكذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله ، وكما لا تحملكم السماء والأرض على الذنوب كذلك لا يحملكم علم الله " يعني لا يحملكم علم الله على ارتكاب المعاصي ولا يدفعكم إليها " [١] .

ومن هذا النوع أيضاً احتجاج المشركين والكفار بالقدر تبريراً لشركهم وكفرهم ، وقد حكى القرآن العظيم عنهم ذلك ، واستنكر صنيعهم فقال تعالى : **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ** " [٢] .

وقوله تعالى : " **وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** " [٣] .

وقوله تعالى : " **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** " [٤] .

---

(١) عقيدة المؤمن في ضياء الكتاب المبين أ . د / طه عبد السلام خضير ص ٩٠ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٣) سورة النحل آية ٣٥ .

(٤) سورة يس آية ٤٧ .

وقوله تعالى : " **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** " (١) .

فأنكر الله عليهم في هذه الآيات احتجاجهم بالقدر وزعمهم أن مشيئة الله للشرك دليل على رضاه منهم فعارضوا الشرع بذكر القضاء والقدر ولم يذكروا القدر على جهة الإقرار به والإذعان له ، وإنما ذكروه على جهة المعارضة والاحتجاج بالقدر بهذا المعنى باطل عقلاً وشرعاً وقد استدل شيخ الإسلام " ابن تيمية " على بطلان الاحتجاج بالقدر بهذا المعنى بأوجه حاصلها ما يلي :

أولاً : لو كان القدر حجة للعبد في فعل المحرمات وترك الواجبات لزمه أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفد زوجته ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل وهذا غير مقبول عقلاً .

ثانياً : لو كان القدر حجة للعبد لزم أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين ، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل .

ثالثاً : لو جاز الاحتجاج بالقدر لزم عدم التفرقة بين المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي واللازم باطل بدليل قوله تعالى " **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** " (٢) .

وقوله تعالى : " **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** " (٣) .

---

(١) سورة الزخرف آية ٢٠ .
(٢) سورة ص آية ٢٨ .
(٣) سورة الجاثية آية ٢١ .

رابعاً : لو كان الاعتذار بالقدر مقبولاً ، لبطلت الحكمة في العقوبات والحدود وتعطلت الأوامر والنواهي ، فلم يعذب الله أحداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولم يقطع يدى سارق ، ولا قتل قاتل ، ولا أقيم حد على ذي جريمة ، ولا جوهد في سبيل الله ، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر " [1] .

يلاحظ مما سبق أنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر ، لأنه لو صح ذلك لبطلت التكاليف ، وكان بعث الرسل وإنزال الكتب والوعد والوعيد بالثواب والعقاب عبثاً وباطلاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ونخلص من تلك المسألة أنه لا يجوز الاحتجاج بألقضاء والقدر قبل الوقوع في الذنب توصلاً إليه بأن يقول الشخص : قدر الله على الزنا مثلاً وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا ، أو بعد الوقوع تخلصاً من الحد أو نحوه ، وأما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم فقط فلا بأس به ، كما جاء في الحديث الصحيح في المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام ، وقد سبق ذكر الحديث .

وكذلك لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في المعاملة مع الناس ، ولا يقبل حجة من يحتج به .

فائدة الدعاء مع القضاء والقدر :

إنه ليس للقضاء مرد ، إلا باب واحد هو باب الدعاء الذي شاءت رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن يكون طوق نجاة لهم ، ودرع وقاية من قضائه .

وقد جاءت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية مؤيدة

---

(١) مجموع الرسائل ـ ابن تيمية ـ رسالة القضاء والقدر ص ١٠ ـ ١٢ .

لذلك حيث يقول المولى عز وجل "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ "(١)

وقال عز وجل "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (٢).

ومن السنة النبوية المطهرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا يرد القضاء إلا الدعاء ... وإن الدعاء ليلقي القضاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " (٣) .

فالقضاء والدعاء في تصارع يريد القضاء أن يبلغ غايته ويصيب هدفه ولكن الدعاء يلتقي به ويؤخر التنفيذ وإن لم يبطل الحكم.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب " تجد أن القضاء قد دخل في دائرة التنفيذ فعلاً ، وكاد أن يبلغ غايته ويصيب هدفه ، ولكن الدعاء التقي به فأوقف التنفيذ ولم يبطل الحكم الصادر من الحق سبحانه وتعالى بل إن الحكم في طريقه إلى التنفيذ ، ولكنه طريق طويل ، لا يعلم مداه إلا الله عز وجل ، يظل سهم القضاء سائراً فيه إلى يوم القيامة ، وإن الدعاء مسلط عليه ، وموكل به ، لا يدعه يصل إلى الهدف ، وإن كان آخذا طريقه إليه ، وإنه لطف من ألطاف الله عز وجل بعباده (٤) .

---

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) أخرجه الترمذي في السنن عن سلمان قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لا يرد القدر إلا الدعاء " كتاب القدر ج٤ ص ٢٩٠ حديث رقم ٢١٢٩ ط دار الفكر .

(٤) القضاء والقدر بين الفلاسفة المتكلمين ص ١٧٩ ـ مرجع سابق .

ولهذا كان مما يدعو به المؤمنون الصالحون مما جاء في الدعاء المأثور .

" اللهم إنا لا نسألك رد القضاء بل نسألك اللطف فيه " .

فرد القضاء لا يكون ، وإنما الذي يكون اللطف في تنفيذه .

الرضا بالقضاء والقدر :

إن المسلم مأمور بالرضا بالقضاء والقدر فيرضى بما قدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوباً مثل أن يبتليه بفقر أو مرض أو ذل أو أذى الخلق له ، فإن الصبر على المصائب واجب قال تعالى " **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** " [١] .

ولكن إذا كان المسلم مأموراً بالرضا بالقضاء والقدر ، فهل يستلزم ذلك الرضا بكل ما قضى الله وقدر ، ومنه الكفر والمعاصي .

يقول [ابن تيمية " رحمه الله : ليس في كتاب الله ، ولا في سنه رسول الله آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضي مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها ، فهذا أصل يجب أن يعتني به، ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به ، فليس لأحد أن يسخط ما أمر الله به [٢] .

ويقول " ابن القيم : الحكم والقضاء نوعان : ديني وكوني : فالديني يجب الرضا به ، وهو من لوازم الإسلام ، والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ، ومن تمام شكرها الرضا بها ، ومنه ما لا يجوز الرضا به ، كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله ، وإن كانت بقضائه وقدره ، ومنه ما يستوجب الرضا به

---

(١) سورة لقمان آية ١٧ .

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ٨ / ١٩٠ .

كالمصائب ، وفي وجوبه قولان ٠

هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي ، وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقدير ومشيئة ، فالرضا به من تمام الرضا بالله رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً " [١] ٠

ويرى صاحب كتاب [المقاصد] أن الواجب هو الرضا بالقضاء لا المقضي ، وبالقدر لا المقدر حيث يقول الإمام " سعد الدين التفتازاني " الرضا إنما يجب بالقضاء دون المقضي " [٢] ٠

وقد جاء في " شرح العقيدة الطحاوية " في مسألة الرضا بالقضاء والقدر ما يلي :

أولاً : نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة ، بل من المقضي ما يرضى به ، ومنه ما يسخط ويمقت ، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه ، بل من القضاء ما يسخط ، كما أن من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم ٠

ثانياً : القضاء أمران : قضاء الله وهو فعل قائم بذات الله تعالى ، ومقضي ، وهو المفعول المنفصل عنه ، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة ، ونرضى به كله ، المقضي قسمان : منه ما يرضى به ، ومنه ما لا يرضى به ٠

ثالثاً : القضاء له وجهان : أحدهما : تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه يرضى به ، والوجه الثاني : تعلقه بالعبد ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والعليل ابن القيم ص ٢٧٨ ط الحسينية ٠

(٢) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني ج٢ ص ١٠٥ ط بيروت ٠

لا يرضى به . مثال ذلك قتل النفس له اعتباران : فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره يرضى به ، ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به [1].

نخلص من تلك المسألة إلى أنه يجب الرضا بالقضاء دون المقضي ، وبالقدر دون المقدر حيث إن القضاء له وجهان الأول من حيث أنه فعل الله ومنسوب إليه فمن هذه الجهة يجب الرضا بالقضاء كله .

الثاني : كونه فعل العبد اختياراً وكسبا ، وهو من هذه الجهة ينقسم إلى قسمين : قسم نرضى به ، وقسم لا نرضى به .

فكفر الكفار ومعصية العصاة إذا نظرنا إلى ذلك من حيث كونه بقضاء الله وقدره ، ولا بد من وجوده في العالم ، لأنه من آثار الأسماء الحسنى ، ومستلزمات الصفات العليا فإننا نرضى به .

وإذا نظرنا إلى جهة صدور الكفر والمعصية من العباد ، فنحن لا نرضى به ، وهذا ما نراه في مسألة الرضا بالقضاء والقدر . والله أعلم .

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية ـ أبو جعفر أحمد بن محمد الأذي الطحاوي ص ٢٢٧ ط دار الفكر العربي .

الإيمان بالقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب :

من الحقائق الهامة التي ينبغي أن يعيها المسلم من عقيدة القضاء والقدر أنها لا تتعارض مطلقاً مع الأخذ بالأسباب من جهاد الأعداء والكفاح ، والسعي في طلب الرزق ، والسعي في جميع جوانب الحياة والمساهمة الإيجابية بالعمل الجاد والتخطيط الدقيق لعمارة الكون وتحقيق سعادة الإنسان فردا وجماعة .

ولا ينبغي لأحد أن يفهم من الإيمان بالقضاء والقدر في الإسلام أنه مصدر التراخي والكسل والتخلف عن الأخذ بأسباب الحضارة والتقدم ، وإن سلوك النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكذلك سلوك أصحابه من بعده يبطل هذا الفهم الخاطيء ، فقد كان ــ صلى الله عليه وسلم يتخذ لكل شيء سببه الذي يحققه ، والعدة التي يتوصل بها إليه ، فكان يعد الجيوش لمحاربة الأعداء ، ويحفر الخنادق إتقاء شرهم ويرسل العيون لمراقبتهم ، وكان يتداوى من الأمراض ، ويأمر بالتداوي ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ " من خلق الله داء إلا وله دواء " [١] .

ويروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رأى قوماً قابعين في المسجد بعد الصلاة بدعوى التوكل على الله ، فقال لهم قولته المشهورة " لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وإن الله تعالى يقول " **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** "[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب باب ١٣٤ ـ المجلد العاشر ط دار التراث .

(٢) سورة الجمعة آية ١٠ .

فالإسلام (بعقيدته في القضاء والقدر لا يدعو) إلى التواكل، كما روج بعض الحمقى ، وإنما الدين الإسلامي يدعو إلى العمل والجد والاجتهاد ، والأخذ بالأسباب المتاحة لنا بقدر الطاقة البشرية ثم بعد ذلك يتوكل الإنسان على الله .

وقصة الإعرابي مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مشهورة .

سأل الأعرابي رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هل أعقل ناقتي ، أم أتركها وأتوكل على الله .

فقال له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بل اعقلها وتوكل " [1].

ففي هذا الحديث يحث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، لأن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله ، فعقيدة القضاء والقدر لا تدعو إلى التواكل وإنما تدعو إلى التوكل ، وهناك فرق شاسع وبون بعيد بين التوكل والتواكل .

كيف نتكل على القدر ونحن لا نعلمه ؟ فالقدر غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وما دمنا لا نعلم الغيب فعلينا أن نتشبث بما أظهره الله لنا من العلم وأن نأخذ بالأسباب الظاهرة إلى أقصى طاقتنا .

وإذا كانت عقيدة القضاء والقدر لا تدعو إلى التواكل ــ كما تبين لنا ــ فهي بالتالي ليست سببا للتخلف الذي يعيش فيه المسلمون ، كما روج بعض المستشرقين حيث قالوا : عقيدة القضاء

---

(١) رواه الترمذي في كتاب القيامة باب ٦٠ ـ المجلد الثالث ص ١٣٥ ط دار الفكر .

والقدر هي السبب في تأخر المسلمين ، وحكموا بأن المسلمين لو داموا على هذه العقيدة ، فلن تقوم لهم قائمة ، ولن ينالوا عزاً ، ولن يعيدوا مجداً ، وهذه الفرية : هي أخطر المطاعن التي وجهت إلى عقيدة القضاء والقدر .

وكم قعد هذا المعتقد الخاطيء الفاسد بكثير من المسلمين عن العمل الجاد النافع فضعفوا وهانوا ، وأصيبوا بكل قاصمة للظهر ، حتى أصبحوا المثل في العجز والكسل ، والتخلف في ميادين العمل والإنتاج ، ووجد بسببهم العدو الكافر مجالاً للطعن في عقيدة الإسلام .

والاحتجاج على المسلمين فيما أصابهم .ونزل بهم بسلوك هؤلاء الذين قتلهم مذهب الجبر ، وأفسد عليهم دينهم ودنياهم ، فأصبحوا يرون أحياءهم أمواتاً ، ويبررون موتهم وقعودهم عن كل خير يكسبه غيرهم ، ويسعد به في حياته يبررونه بمثل قول شاعرهم :

جرى قلم القضاء بما يكون

فسيان التحرك والسكون

جنون بك أن تسعه لرزق

ويرزق في غيابته الجنين [1]

ولكن هذا الاعتقاد باطل فاسد يقود إلى خسران الدنيا والآخرة، والحق أن الإسلام بريء من هذه الأباطيل فالإسلام يدعو إلى الأخذ بالأسباب وإلى العمل والسعي والكفاح والجهاد وإلى كل ما يحقق العزة والغلبة والسعادة والأمن وغير ذلك من جوانب الحياة

---

(١) عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري - ص ٤٤١ ط المكتبة التوفيقية .

فالقضاء والقدر ليسا سوى " النظام العام الذي خلق الله عليه الكون ، وربط فيه بين الأسباب والمسببات ، والنتائج والمقدمات ، سنة كونية دائمة لا تتخلف وكان من بين تلك السنن أن خلق الله الإنسان حراً في فعله مختاراً غير مقهور ولا مجبور [١] .

نخلص من هذه المسألة : أن عقيدة القضاء والقدر لا تدعو إلى الاستسلام بل تدعو إلى الأخذ بالأسباب ، وأن هذه العقيدة كانت وما زالت من الأسباب الأساسية التي دفعت المسلمين إلى المجد والعزة والسؤدد ، وأن ما زعموه في المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأه هذه العقيدة ولا غيرها من العقائد الإسلامية ونسبته إليها كنسبه النقيض إلى نقيضه ، بل أشبه ما يكون بنسبة الحرارة إلى الثلج والبرودة إلى النار .

إذا ذكر القدر فأمسكوا :

عرفنا فيما تقدم أن عقيدة القضاء والقدر هي أن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الله خالق كل شيء ، ومحيط بكل شيء علماً ،وأن ذلك لا يتعارض مع مسئولية العبد وتكليفه وجزائه ، ثواباً أو عقاباً إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وإن حقيقة القضاء والقدر سر الله عز وجل في خلقه لا يعلمه إلا هو وقد جاء في شرح العقيدة الطحاوية أن " أصل القدر سر الله تعالى في خلقه . فلم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة ، فإن الله تعالى طوي علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ـ محمود شلتوت ص ٥٠ ط دار الشروق .

في كتابه " لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " [١] فمن سأل : لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين [٢].

وأصل القدر سر الله في خلقه ، وهو كونه أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وهدى [٣] .

وقد جاء رجل إلى سيدنا " على بن أبي طالب " يسأله ويقول: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر : قال " طريق دقيق لا تمش فيه، قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . قال : بحر عميق لا تخض فيه ، قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، قال : سر خفي لله لا تفشه .

ويقول الإمام على ــ رضى الله عنه ــ " إن الله أمر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف تيسيراً ، ولم يعص مغلوبا ، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والأرض باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار [٤] .

وقال الإمام (أبو حنيفة) رضى الله عنه في مسألة القدر " هذه مسألة قد استعصت على الناس فأني يطيقونها ، هذه مسألة مقفلة قد ضل مفتاحها ،فإن وجد مفتاحها علم ما فيها ، ولم يفتح إلا بمخبر من الله تعالى يأتي بما عنده ويأتي ببينة وبرهان .

وقال لقوم من القدريين جاءوا يجادلونه في القدر " أما علمتم أن الناظر في القدر كالناظر في شعاع الشمس ، كلما ازداد نظراً ازداد حيرة [٥].

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٦ ط دار الفكر .
(٣) المرجع السابق ص ٢١٧ .
(٤) العقيدة الإسلامية الشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٥ .
(٥) العقيدة الإسلامية ـ محمد أبو زهرة ـ ص ٥٥ ط مجمع البحوث الإسلامية

وفي هذا المعنى قال الإمام جعفر الصادق ــ رضى الله عنه ــ " إن الله تعالى أراد بنا شيئا ، وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا " [١].

وقد جاءت أحاديث كثيرة تنهي الناس عن البحث في مسألة القدر وتأمرهم باتباع ما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه ففي الحديث النبوي الشريف " عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أصحابه ذات يوم ، وهم يتراجعون في القدر ، فخرج مغضبا حتى وقف عليهم فقال " يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً ، ما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به [٢] .

وعن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : خرج علينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه ، حتى كأنما فقيء في وجنتيه الرمان فقال : " أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه [٣] .

ونختم تلك المسألة بحديث الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي يقول فيه " إذا ذكر القدر فأمسكوا " [٤] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١٧٨ ، ١٩٦ .
(٣) رواه الترمذي في القدر ٤ / ٤٤٣ .
(٤) كنز العمال ـ المنتقي المهتدي ـ الجزء الأول حديث رقم ٩٠١ ص ٩٥ ط مؤسسة الرسالة .

أفعال العباد بين القضاء والقدر :

إن أفعال العباد تنقسم إلى قسمين : اضطراري واختياري ، ولا خلاف بين المسلمين قاطبة في أن الأفعال الاضطرارية للإنسان كنبض قلبه ، وحركة أمعائه وطوله وقصره ولونه ، وما قد يدهمه ويقع عليه بلا إرادة معه هي من تقدير الله وخلقه ، ولا تكليف على الإنسان في ذلك ، ولا مسئولية عليه حيالها ، ولا يمدح أو يذم بسببه .

وإنما محل النزاع في ذلك هو أفعال الإنسان الاختيارية ، والتي تنشأ عن إرادة من العبد وتصحبها قدرة منه عليها ، والتي هي الأمر والنهي في التشريعات الإلهية .

فهذه المسألة هي موضع الخلاف بين الفرق الإسلامية ، فمنهم الغلاة في إثبات القدر وهم " الجبرية " ومنهم الغلاة في نفي القدر وهم " القدرية " ومنهم المتوسطين بين ذلك وهم أهل السنة والجماعة ، وسوف نذكر كل فرقة ومذهبها والرد عليها .

أولاً : الجبرية :

تنسب فرقة الجبرية إلى " الجهم بن صفوان " [1] مؤسس هذه الفرقة .

والجبرية هم الذين يزعمون بأن العبد مجبور على عمله بمعنى أن حركاته بمنزلة حركات الجماد ولا قدرة له عليها ولا

---

(١) الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ على الزندقة والإلحاد ، والجعد ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملوك بني أمية سنة ١٢٨هـ (انظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ٨٦ وانظر الكامل لابن الأثير ج٥ ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

اختيار [١].

فمذهب الجبرية في القدر يتلخص في أن الإنسان لا يقدر على شيء ، ولا يوصف بالاستطاعة ، إنما هو مجبور في أفعاله ، ولا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، إنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازا، كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة ، وجرى الماء، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك ، والثواب والعقاب جبر ، كما أن الأفعال كلها جبر ، وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً جبر [٢] .

ومن ثم : فإن العبد مجبور لا اختيار له في صدور جميع أفعاله عنه ، فهو كريشة معلقة في الهواء تميلها الرياح يميناً وشمالاً [٣].

قال شاعرهم مورداً هذه الأبيات :

ما حيلة العبد والأقدار جارية

عليه في كل حال أيها الرائي

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له

إياك إياك أن تبتل بالماء

وقد رده عليهم بعض أهل السنة بقوله :

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٨٤ ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) الملل والنحل - الشهرستاني - ج١ ص ٨٧ ط دار صعب .

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد - شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري ص ١٢٨ ط الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة .

إن حفه اللطف لم يمسسه مل بلل

ولم يبال بتكتيف وإلقاء

وإن قدر المولى بغرقته

فهو الغريق ولو إلقى بصحراء [١]

تلك هو مذهب الجبرية في القدر فهم يزعمون أن العبد مجبور على عمله ، وأن أفعاله الاختيارية بمنزلة حركات الجماد ولا قدرة للعبد عليها ولا اختيار ، بل هو كما يزعمون كريشة معلقة في الهواء تسيرها الرياح كما تشاء فهو أيضاً تسيره الأقدار كما تشاء .

وقد استدل الجبرية على تأييد مذهبهم بشبه عقلية ونقلية .

أما الشبه العقلية فقالوا فيها : إذ لو فرضنا أن الإنسان خالق لأفعال نفسه وموجد لها ، لزم أن يكون هناك أفعال تجرى خارج مشيئة الله تعالى وإرادته واختياره ، لأنه قد وجد خالق غير الله وهو الإنسان ، ومع أن المسلمين قد أجمعوا على أنه لا خالق غير الله ، وما دام الخلق لله وليس للإنسان ، فالإنسان مجبور على الفعل ، لأنه لا واسطة بين الجبر والاختيار ، فهو إما مختار أو مجبور، وما دام اختياره يجعله خالقاً لأفعاله ، مما يؤدي إلى خروج أفعال عن مشيئة الله وإرادته ، وهذا أمر باطل فإذن مجبور في أفعاله وليس مختاراً .

وللرد على تلك الشبه نقول : إن هذا المذهب ليس بشيء فهم قد خلطوا بين قدرة العبد في الخلق ، وقدرة الرب ، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يخلق الجواهر والأعراض والإنسان لا يخلق شيئا من هذا ولا يستطيعه ولا يقه في مقدوره ، وإنما خلقه عبارة عن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ ـ ٢٩ .

التآليف بين الجواهر والأعراض ، وهذا أمر ندركه ونحس به من غير شك ، وفرق بين الخلقين على أن القدرة التي يباشر الإنسان فعله بها مخلوقه لله تعالى بل الآلات والأسباب أيضاً مخلوقة لله تعالى [١] .

ومن الشبه النقلية التي تمسك بها الجبرية قول الله تعالى : " وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى " [٢] يقولون في هذه الآية نفي الله عن نبيه الرمي وأثبته لنفسه سبحانه فدل على أنه لا صنع للعبد .

ولكن ما استدلت به الجبرية في هذه الآية هو حجة عليهم لأنه تعالى أثبت لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رمياً بقوله " إذا رميت " فعلم أن المثبت غير المنفي ، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء فالمعنى حينئذ ــ والله اعلم ــ .

وما أصبت إذ رميت ولكن الله أصاب ، وإلا فيطرد قولهم : وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى ، وما صحت إذ صحت ، وما زنيت إذ زنيت ! وما سرقت إذ سرقت ! وفساد هذا ظاهر [٣] .

وقال الإمام " ابن حزم " في هذه الآية رداً على الجهمية : إن الرمي الذي نفاه ــ عز وجل ــ عن نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ غير الرمي الذي أثبته له ولا يظن غير هذا مسلم فصح ضرورة أن نسبة الرمي إلى الله ــ عز وجل ــ لأنه خلقه وهو تعالى ــ خالق الحركة التي هي الرمي وممضي الرَّمية ، وخالق سائر الرمي وهذا

---

(١) عقائد وأخلاق ـ تأليف لجنة من قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة ص ٨٨ ط ١٩٧٤م .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٥ ط دار الفكر العربي .

هو المنفي عن الرامي ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم [١].

تلك هو مذهب الجبرية وقد تبين لنا من خلال ما قدمنا أنه مذهب باطل لا يسير مع العقل ولا النقل ، فهو لا يثبت حرية للعبد ولا اختياراً له في تصرفاته حتى يمكن محاسبته ومجازاته على أفعاله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وإنما يذهب إلى أن العبد مجبور على الفعل غير مختار فيه فكيف يحاسبه الله تعالى على فعله ؟ وكيف يكلف بعمل غيره ؟ ولم أرسل الله الرسل ما دام العبد كريشة في مهب الرياح ؟ فليترك عالم الإنسان دون رسل كما ترك عالم النبات والجماد دون رسل .

وقد نهض كثير من العلماء لمقاومة هذه الحركة الهدامة ، ونشطوا للرد على الجهمية نشاطاً عظيماً ، ولعل أهم ما حملهم على الرد على مسألة الجبر لأنها تدعو إلى التعطيل ، وترك العمل والركون إلى القدر [٢].

وإن هذا المذهب لم يكتب له الانتشار والسبب في ذلك ، أن هذا المذهب يعتبر شذوذاً في الرأي ونشاذاً في التفكير ، ذلك أنه ليس بعقلي لأنه يقول بالجبر ، وليس بنص لأنه يقول بالتعطيل وهو لذلك لا يرضى فريقي الأمه النصيين والعقلين [٣] .

وقال أهل الحق : للخلق أفعال بها صاروا عصاة ومطيعين ، وهي مخلوقة لله تعالى فيتعلق الثواب والعقاب بفعلهم دون تخليق الله تعالى .

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ج٣ ص ١١٠ تحقيق د / محمد إبراهيم نصر ، د / عبد الرحمن عميرة ط عكاظ .

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ص ٢٨٧ ط دار الشباب وأنظر التفكير الفلسفي في الإسلام ـ عبد الحليم محمود ص ١٥٤ ط دار المعارف .

(٣) التفكير الفلسفي في الإسلام ـ عبد الحليم محمود ص ١٥٢ ط دار المعارف

ومذهب الجبرية باطل بدليل الكتاب وهو قوله تعالى " **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** " [١] وقوله تعالى " **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ** " [٢] وقوله تعالى : " **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " [٣] وأثبت لهم أسماء الأعمال ، ولفعلهم اسم الفعل ، وأمر بذلك ونهى ، وقابله بالوعد والوعيد ، ومحال الأمر بما لا فعل للمأمور والنهي عما لا فعل للمنهي ، ثم هو من الأفعال ما هو طاعة ، ومنها ما هو معصية ويثاب المطيع ويعاقب العاصي ، ولو كان ذلك كله من الله تعالى ، لا فعل للعبد البتة لكان الله تعالى هو المطيع العاصي ، والمثاب المعاقب المجزي بصنعه ، وذلك كله كفر وضلال .

وكذلك بعيد في العقل محال أن يكون الله تعالى سفيهاً ، جائراً، ظالماً ، وقد سمى الله تعالى بذلك الذين نهاهم ، فلو كان الفعل منه والنهي له ، لكان الموصوف بذلك كله هو الله تعالى والقول به كفر [٤] .

وبهذا يتم الحديث عن مذهب الجبرية وقد تبين من خلال ما قدمنا أنه مذهب باطل بالعقل والنقل لأنه يترتب عليه إبطال التكليف والثواب والعقاب وبعثة الرسل وإنزال الكتب لأن العبد مجبر في فعله لا حرية له في العمل .

ثانياً : مذهب القدرية :

القدرية : هم القائلون بإنكار القدر الإلهي ، إذ إنهم يرون أن

---

(١) سورة فصلت آية ٤٠ .
(٢) سورة الحج آية ٧٧ .
(٣) سورة الأحقاف آية ١٤ .
(٤) التمهيد في أصول الدين ـ أبو المعين النسفي ص ٧٢ ط دار الثقافة والنشر ١٩٨٧م .

للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى [١].

وقد سموا بالقدرية لإفراطهم في نفي القدر .

والقدرية ملعونون كما قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ " لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً آخرهم محمد " [٢]وقوله صلى الله عليه وسلم " القدرية مجوس الأمة " [٣].

وقوله صلى الله عليه وسلم " إذا قامت القيامة نادى منادٍ في أهل الجمع أين خصماء الله فيقوم القدرية " [٤]، إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في ذم القدرية وهم الذين يقولون لا قدر والأمر أنف ، وهم الذين ينفون كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئة ويرون أن الأمور يستأنف العلم بها ، وتستأنف إرادتها ، وفي هذا تنفي الإرادة الأزلية وينفي للعلم الأزلي القديم ، وذلك يخرج فعل الإنسان على نطاق قدرة الخلاق العليم .

وروى مسلم في صحيحه قال حدثني " أبو خثيمة زهير بن حرب " عن " يحيي بن يعمر " قال كان أول من قال في القدر بالبصرة، " معبد الجهني " فانطلقت أنا و " حميد بن عبد الرحمن الحميري " حاجين أو معتمرين فقلنا : لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته

---

(١) الفرق بين الفرق البغدادي ص ٣٩ ط دار التراث وانظر الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ ج ١ ص ٣٠ ط دار صعب .

(٢) رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١ / ١٤٣ .

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ٢ / ٣٤١ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٨٦ ، ٥ / ٤٠٧ ، ورواه أبو داود في السنن باب ١٦ .

(٤) روى بطرق وأسانيد متعددة ، رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٠٦ ، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ٥٦٩ ،ورواه أبي عاصم في السنن ١ / ١٤٨ ، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١ / ١٤٢ .

أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أنا صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم أنهم يزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أنف قال فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برأو مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر [١] .

لأن هذا القول يؤدي إلى أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لا يعلم أفعال الإنسان إلا بعد وقوعها ، وهذا نقص في حقه سبحانه وتعالى لأن علمه عام شامل لجميع المعلومات وغير مرتبط بزمان ، يعلم الأشياء قبل وقوعها على الوجه الذي ستكون عليه بعد الوقوع ، فإذا وقعت كان ذلك وفقاً لعلمه السابق .

وكما أن إرادته عامة لجميع الممكنات فلا يقع في ملكه ما لا يريد .

والقدرية فرقتان : القدرية الأولى أتباع " معبد الجهني " [٢] و " غيلان الدمشقي " [٢] وهم القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير، ولكن هذه الفرقة قد انقرضت ولم يكتب لها البقاء ، ولكن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الإيمان باب القدر ج١ ص ١٥٠ ط دار إحياء التراث العربي .

(٢) هو معبد بن خالد الجهني البصري وهو أول من تكلم في القدر قال أبو حاتم " قدم المدينة فأفسد فيها ناساً " أهـ وقال الدار قطني " حديثه صالح ومذهبه رديء " وقد اختلفوا في موته فقيل صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله سنة ٨٠هـ ، وقيل خرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجاج فعذبه ثم قتله (انظر العبر ١ / ٩٢ ـ والإعلام ج ١ ص ٦٤ وتهذيب التهذيب ١ / ٢٢٥) .

(٢) هو مروان غيلان بن مسلم ، ثاني من تكلم في القدر ، وكان في عهد عمر ابن عبد العزيز فاستتابه ثم تاب عن القول في القدر ثم بعد موت عمر رجل إلى القول في القدر فقتله هشام بن عبد الملك (لسان الميزان ٤ / ٤٢٤ ـ الفرق بين الفرق ص ٣٩) .

هم أول من تكلموا في القدر حيث يقول " ابن تيمية " أول من ابتدع القول في القدر بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له " سوسنيه " من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني [١].

وقال الأوزاعي : أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانياً أسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد [٢].

مما سبق يتبين أن أول من تكلم في القدر معبد الجهني لكنه حينما تكلم فيه كان متأثراً ببعض العناصر غير المسلمة كالنصارى والمجوس وعن معبد الجهني أخذ غيلان بن مسلم القبطي ، وعلى يديه كان نشر هذه البدعة الضالة .

ونظرا لإفراط معبد وأصحابه وهم (القدرية الأولى) في نفي القدر ، إذ أنهم لم يقفوا عند القول بأن العبد يخلق فعل نفسه فحسب، بل تطرقوا حتى نفوا القدرة بمعنى العلم والتقدير ، فيروي عن معبد أنه كان يقول " لا قدر والأمر أنف " أي يستأنف (وقد رفض الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين هذه البدعة وتحذير المسلمين من اتباعها [٣].

ولوقوف الدولة الإسلامية منهم الموقف الحازم " إذ ترى الخليفة عبد الملك بن مروان يأمر بقتل معبد الجهني [٤].

ويرى الخليفة " عمر بن عبد العزيز " يستتب غيلان الدمشقي حتى تاب ورجع عن مقولته الضالة في إنكار القدر ، وكان ذلك في

---

(١) الفتاوي - ابن تيمية ج٧ ص ٣٨٤ ط دار الكتب الحديثة .
(٢) الخطط والآثار المقريزي ج١ ص ١٥٩ .
(٣) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب القدر ج١ ص ١٥٦ .
(٤) الإعلام - للزركلي - ج٥ ص ٢٦٤ ط بيروت .

حياة عمر وبعد وفاة " عمر بن عبد العزيز " رجع غيلان إلى ضلالته مرة أخرى فقبض عليه الخليفة هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه [١]

ومن ثم تلاشت القدرية الأولى ولم يكتب لها البقاء مرة أخرى ٠

القدرية الثانية " المعتزلة "

كثيراً ما يسمى المعتزلة بالقدرية ، لأنهم وافقوا القدرية في قولهم " أن للإنسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ونفوا أن تكون الأشياء بقدرة الله تعالى وقضائه ، والمعتزلة يبرأون من هذه التسمية فلا يرضون أن يسموا بالقدرية ويقولون إن لمن منيت بالقدر أولى بالانتساب إليه من نافيه [٢] ٠

وإن مذهب المعتزلة [٣] في القدر أخف وطأة من مذهب القدرية الأولى ، فالمعتزلة قد أثبتوا العلم الشامل لله تعالى ، والقدرة المطلقة له جل شأنه وأن العبد بقدراته مخلوق لله ، قد منحه الله الاستطاعة ، فأفعال العباد غير مخلوقة لله فيهم ، وأن الإنسان هو المحدث لهما بما منحه الله من القدرة وأسبابها ٠

---

(١) الإعلام ـ للزركلي ـ ج٥ ص ١٢٤ ط بيروت ٠

(٢) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ص ٢٨٧ ط مكتبة النهضة ٠

(٣) قيل سموا معتزلة لأنه حدث في أيام الحسن البصري خلاف بينه وبين واصل بن عطاء في القدرة وفي المنزلة بين المنزلتين فانضم إلى واصل عمر بن عبيد بن باب في بدعته ، فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا على سارية من سوارى مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة ، لاعتزالهم قول الأمة في دعواهما أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر (الفرق بين الفرق ص ٤٠ ، ٤١) ٠ وقيل سموا معتزلة لاعتزالهم بيعة علي بن أبي طالب رضى الله عنه (فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ ص ٢٩٠)

حيث يرى القاضي عبد الجبار [١]: أن أفعال العباد هي من واقع تصرفهم فيقول " اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم ، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال : أن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه ، وأحالوا حدوث فاعل من فاعلين [٢].

ويشرح القاضي عبد الجبار ذلك فيقول : والذي يدل على ذلك أن تفصل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجه وقبيحه ، فنحمد المحسن على إحسانه ، ونذم المسيء على إساءته ، ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه وقبيحه ، ولا في طول القامة وقصرها ، حتى لا يحسن منا أن نقول للطويل لم طالت قامتك ، ولا للقصير لم قصرت قامتك ؟ كما لا يحسن أن نقول للظالم لم ظلمت ؟ وللكاذب لم كذبت فلولا أن أحدهما متعلق بنا وموجود من جهتنا بخلاف الآخر ، وإلا لما وجب هذا الفصل ، ولكان الحال في طول القامة وقصرها كالحال في الظلم والكذب وقد عرف فساده .

فإن قالوا لا يمكن أن تستدلوا بهذه الطريقة على أن هذه الأفعال متعلقة بكم ، فإنكم تحمدون الله تعالى على الإيمان ، وإن كان الإيمان من فعلكم ومتعلق بكم ، وكذلك فإنكم تذمون أحدنا على الإماتة والغرق والحرق ، وغير ذلك مع أن شيئاً من ذلك لا يتعلق به .

---

(١) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني السدي ولد سنة ٣٢٠ هـ وتوفى سنة ٤١٥هـ وكان أشعرياً ثم انتقل إلى الأعتزال بعد اتصاله بالعالم المعتزلي أبو إسحاق بن عياش (انظر الإعلام للزركلي ج٤ ص ٧٤ ط بيروت) .

(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد ـ القاضي عبد الجبار ج٨ ص ٣ ط دار الثقافة والإرشاد ـ دار الكتب ١٩٦٠م .

قلنا أما الأول فليس على ما تظنون ، لأنا لا نحمد الله تعالى على الإيمان نفسه ، وإنما نحمده على مقدماته من الأقدار والتمكين وإزاحة العلة بأنواع الألطاف وذلك موجود من قبله ومتعلق به فلا يلزم ، ولهذا قال بعض أصحابنا حين أورد بعضهم هذا السؤال عليه بحضرة بعض الأكابر فقال فإنا لا نحمد الله تعالى على ذلك ، وإنما الله يحمدنا عليه ، فانقطع السائل فقال المسئول : شنعت المسألة فسهلت .

وأما ما ذكرته ثانياً فليس كذلك أيضاً ، لأنا لا نذم أحدنا على الإماتة والغرق والحرق ، وإنما نممناه على مقدمات ذلك ، ألا ترى أن من وضع صبياً تحت برد ليموت ، فإن ذمنا إياه ليس على الإماتة وإنما هو على إلقائه أو وضعه تحت البرد ، وكذلك من ألقى صبياً في تنور ليحرقه الله تعالى ، فإنا لا نذمه على الإحراق الموجود من قبل الله تعالى وإنما نذمه على تقريبه من جهة النار وإلقائه فيها [1] .

ويمكن تحديد مذهب المعتزلة في مسألة القدر في النقاط الآتية :

١ ــ أنهم اتفقوا جميعاً على أن أفعال الإنسان غير مخلوقة لله ، وأن من قال : أن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه ، لأن هذه الأفعال متعلقة بالإنسان ، فلا يصح أن تتعلق بالذات الإلهية، لأنه يستحيل أن يكون فعل واحد مفعولاً لفاعلين ، ومقدوراً لقادرين ، وأثراً لمؤثرين .

٢ ــ كما اتفقوا جميعاً على أن أفعال العباد من تصرفهم . .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ـ قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد ـ تعليق أحمد بن الحسين ، تحقيق عبد الكريم عثمان ص ٣٣٢ / ٣٣٣ ط مكتبة وهبة .

حادثة من جهتهم ، وعلى أن الإنسان منا " محدث وفَعِل " لما يصدر عنه من أفعال وأن جهة تعلق هذه الأفعال بالناس الفاعلين لها إنما هو " هو الحدوث " أي أن جهة تعلق هذه الأفعال بفاعليها ليست الكسب بالمعنى الذي تحدثت عنه الأشعرية ومن باب أولى ليست " الظرفية والمحلية " كما رأت ذلك الجبرية المجبرة الخلص .

٣ ــ كما رأى المعتزلة : أن العقلاء على اختلاف أحوالهم يعترفون بأن الفاعل المختار إنما تأتي أفعاله بحسب قصده ودواعية هو ، كما أن هذه الأفعال تنتفي بحسب الكراهة لها والصوارف عنها والموانع التي تمنع مباشرتها ، وإذا كان وقوعها مشروطاً بقصد الفاعل لها ودواعيه إليها ، كما أن عدم وقوعها مشروطا بكراهيته لها والصوارف والموانع التي تصرفه عنها وتحول بينه وبينها كانت لا محالة فعله هو ، لا فعل غيره ، حتى ولو كان هذا الغير هو الله سبحانه وتعالى .

٤ ــ أن المعتزلة ــ على عكس الكثيرين من اللذين خاضوا في هذا المبحث ــ قد رأوا أن وصف الإنسان بأنه فاعل لأفعاله هذه، إنما هو وصف على جهة الحقيقة ، وليس على جهة المجاز .

٥ ــ أن المعتزلة بعد أن رفضوا أن تكون أفعال الإنسان مخلوقة لله سبحانه وتعالى، لم يتحرج الكثيرون منهم عن أن يصفوا الإنسان بأنه خالق هذه الأفعال ، وذلك لأن معنى الخلق عندهم ليس هو الاختراع والإبداع على غير صورة ومثال سابق ولا الإيجاد من العدم ، كما فسر البعض هذا المصطلح وبخاصة " الأشعرية " وإنما الخلق الإنساني عندهم هو الفعل والصنع على أساس من (التقدير

والتخطيط) السابق على التنفيذ [١] .

تلك هو تحديد مذهب المعتزلة في القدر وقد ذكروا بعض الشبه السمعية والعقلية رأوا فيها تأييد مذهبهم ، ومن تلك الشبه ما يلي :

أولاً : الشبهات النقلية :

قول الله تعالى : " **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ** "[٢] .

يقول القاضي عبد الجبار في الاحتجاج بهذه الآية :

" نفى الله التفاوت عن خلقه ، فلا يخلو : إما أن يكون المراد بالتفاوت من جهة الخلقة أو من جهة الحكمة ، ولا يجوز أن يكون المراد به التفاوت من جهة الخلقة ، لأن في خلقه المخلوقات من التفاوت ما لا يخفي ، فليس إلا أن المراد به نفي التفاوت من جهة الحكمة على ما قلناه : إذا ثبت هذا لم يصح في أفعال العباد أن تكون من جهة الله تعالى ، لاشتمالها على التفاوت وغيره .

ثم يقول القاضي عبد الجبار : فإن قيل ما أنكرتم أن التفاوت من جهة الخلقة على ما ذكره في آخر الآية حيث قال " هل ترى من فطور " ؟ قلنا هذا الذي ذكرته لا يصح لأن تخصيص آخر الآية لا يقدح في عموم أولها [٣] .

الرد على تلك الشبهة :

يقال لهم : إن استدلالكم بالآية ناتج عن سوء فهم وذلك لأن

---

(١) المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية د / محمد عمارة ص ٧٠ / ٧١ ط دار الشروق .

(٢) سورة الملك آية ٣ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ـ عبد الجبار بن أحمد ص ٣٥٥ ط مكتبة وهبه .

المقصود بالتفاوت في الآية التفاوت في الخلقة .

يقول " القرطبي " عند تفسير هذه الآية : المراد " بخلق الرحمن " السموات خاصة أي ما ترى في خلق السموات من عيب ، وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء فيقع الخلل لقلة استوائها ، يدل عليه قول ابن عباس " من تفرق " (١).

ويقول صاحب كتاب " التسهيل في علوم التنزيل " (٢) في معرض تفسيره للآية " من تفاوت : أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان ، والمعنى : أن خلق السموات في غاية الإتقان ، وتخصيص الآية بخلق السموات لورودها بعد قوله تعالى " **الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً** " (٣).

ويقول الباقلاني في رده على استدلال المعتزلة بهذه الآية " إن أول الآية حجة عليهم لأنه سبحانه وتعالى قال " الذي خلق الموت والحياة " الآية وبين الموت والحياة تفاوت ، وهو خالق الجميع ، لا خالق لذلك غيره ، فكذلك كفر الكافرين .. وإيمان المؤمنين ، وإن كان بينهما تفاوت في الحكم ، فليس بينهما تفاوت في الإيجاد والاختراع ، وأحكام الخلق ، فصح أن الآية حجة عليهم لا لهم (٤) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج١٨ ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ط دار الريان للتراث بالقاهرة .

(٢) التسهيل في علوم التنزيل - محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ج٤ ص ٢٥٠ المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ .

(٣) سورة الملك آية ٣ .

(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم الباقلاني ص ١٣٣ ط مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

الشبهة الثانية :

قول الله عز وجل " **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** " [١].

يرى القاضي عبد الجبار أن هذه الآية تدل على أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم .

ويستدل على ذلك بقوله " أنه لا يخلو إما أن يكون المراد به أن جميع ما خلقه الله تعالى فهو إحسان ، أو المراد به أن جميعه حسن ، ولا يجوز أن يكون المراد به الإحسان ، لأن في أفعاله تعالى ما لا يكون إحسانا كالعقاب فليس إلا أن المراد به الحسن على ما نقوله .

وإذا ثبت هذا ، ومعلوم أن أفعال العباد تشتمل على الحسن والقبيح فلا يجوز أن تكون مضافة إلى الله تعالى .

ثم يقول : فإن الذي يسبق إلى أفهام السامعين من قوله أحسن ، ليس إلا الحسن على ما ندعيه فيجب أن يحمل عليه [٢].

الرد على تلك الشبهة :

يقول " أبو بكر الباقلاني " في الرد على المعتزلة في شبهتهم السابقة " يقال لهم : ليس " أحسن " من معنى " حسن " وإنما معناها أن يحسن ويعلم كيف يخلق ، كما يقال : فلان يحسن الظلم ، ويحسن السقه ، ويحسن فعل الخير والجميل ، أي يعلم كيف يفعل ذلك [٣].

ويقول ابن الجوزي في قوله تعالى " الذي أحسن كل شيء خلقه" الآية . أي لم يتعلمه من أحد كما يقال : فلان يحسن كذا إذا

---

(١) سورة السجدة آية ٧ .
(٢) شرح الأصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار ص ٣٥٧ ط مكتبة وهبة .
(٣) التمهيد للباقلاني ص ٣١٢ ط بيروت .

علمه ، قاله مقاتل والسدي [١].

وعلى هذا فإن قول المعتزلة أن أحسن من معنى حسن باطل، وعليه فيبطل استدلالهم بالآية .

الشبهة الثالثة :

ومن الأدلة السمعية التي احتج بها المعتزلة أيضاً قول الله عز وجل " **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** " [٢].

يقول القاضي عبد الجبار : بين الله تعالى أن أفعاله كلها متقنة ، والإتقان يتضمن الإحكام والحسن جميعاً ، حتى لو كان محكما ولا يكون حسنا لكان يوصف بالاتقان ، ألا ترى أن أحدنا لو تكلم بكلام فصيح يشتمل على الفحش والخنا ، فإنه وإن وصف بالإحكام لا يوصف بالإتقان وإذا ثبت هذا ، ومعلوم أن في أفعال العباد ما يشتمل على التهود والتنصر والتمجس ، وليس شيء من ذلك متقنا ، فلا يجوز أن يكون الله تعالى خالقاً لها [٣].

الرد على تلك الشبهة :

قد رد الإمام " ابن حزم " على هذه الشبهة فقال " إن هذه الآية حجة عليهم لا لهم لأن الله تعالى أخبر أنه بصنعه أتقن كل شيء ، وهذا على عمومه وظاهره فالله تعالى صانع كل شيء ، وإتقانه له أن خلقه جوهراً أو عرضاً جاء بين على رتبة واحدة أبداً وهذا هو عين الإتقان [٤] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ج ٦ ص ٣٣٤ ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٩٦٤م .

(٢) سورة النمل آية ٨٨ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ـ القاضي عبد الجبار ص ٣٥٨ .

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ج٣ ص ٦٥ .

ونكتفي بهذا القدر من شبه المعتزلة التي تمسكوا بها في استدلالهم على أن العباد هم الخالقون لأفعالهم الاختيارية ، وقد تبين من خلال سرد تلك الشبه أنها باطلة ولا يصح الاستدلال بها .

وهناك كثير من الأدلة من القرآن والسنة تؤيد بطلان مذهب القدرية نذكر منها ما يلي :

أولاً : الأدلة من القرآن العظيم :

قول الله عز وجل : " **مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً** " (١) .

وقوله تعالى " **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** " (٢)

وقوله تعالى " **وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** " (٣)

وقوله تعالى " **قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ** " (٤).

وقوله تعالى " **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍ** " (٥).

وقوله تعالى " **وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ** " (٦) .

---

(١) سورة الكهف آية ١٧ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦ .
(٣) سورة إبراهيم آية ٢٦ .
(٤) سورة الرعد آية ٢٧ .
(٥) سورة الزمر آية ٣٦ ـ ٣٧ .
(٦) سورة الإسراء آية ٩٧ .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية المطهرة :

١ ــ أن عمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ سئل عن هذه الآية " **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** " [١] . فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يُسأل عنها ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية . فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون . ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون " فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إن الله إذا خلق العبد للجنة ، استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة . وإذا خلق العبد للنار ، استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار [٢] .

٢ ــ وروى عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : " وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أي ربِّ نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خَلْقَها ، قال أي ربِّ ذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه [٣] .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

(٢) أخرجه أبو داود في ٣٩ كتاب السنة ، ١٦ ـ باب في القدر والترمذي في ٤٤ ـ كتاب التفسير ، ٦ سورة الأعراف حديث رقم ٢ .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي ـ المجلد الثاني ج٤ باب في القدر ص ١٤٣

٣ ــ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو الصادق المصدوق ــ : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بكتب أربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فو الله الذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها [١].

٤ ــ ما روى عن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ صفحتها ، ولتنكح ، فإنما لها ما قدر لها " [٢].

٥ ــ وعن مالك عن زياد بن سعيد ، عن عمرو بن دينار ، أنه قال : سمعت عبد الله بن الزبير يقول في خطبته . إن الله هو الهادي والفاتن [٣].

٦ ــ وعن يحيي عن مالك أنَّه بلغه أنه كان يقال الحمد لله الذي خلق كل شيء كما ينبغي ، الذي لا يعجل شيء أناهُ وقدَّره ، حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعاه ، ليس وراء الله مرمى [٤].

٧ ــ وعن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك ، أنه قال: كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز فقال : ما رأيك في هؤلاء القدرية ؟

---

(١) رواه الشيخان ـ اللؤلؤ والمرجان ٢ / ٣٤٩ .
(٢) أخرجه البخاري في ٨٢ كتاب القدر باب وكان أمر الله قدرا مقدورا .
(٣) الموطأ للإمام مالك ـ الجزء الثاني ٤٦ كتاب القدر حديث ٥ .
(٤) الموطأ ـ الجزء الثاني ٤٦ كتاب القدر حديث رقم ٩ .

فقلت : رأيي أن تستتيبهم ، فإن تابوا ، وإلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر بن عبد العزيز : وذلك رأيي قال مالك : وذلك رأيي [١].

ثانياً : الشبه العقلية :

الشبهة الأولى :

وهي عمدتهم الكبرى وعروتهم الوثقى ويقولون فيها : أنه لو لم يكن العبد موجداً لأفعاله بالاستقلال لكان مجبوراً ولو كان مجبوراً لزم فسادات :

منها ــ بطلان المدح والذم عليها ، إذ لا معنى للمدح والذم على ما ليس بفعل له ولا واقع بقدرته واختياره .

ومنها ــ بطلان التكاليف من الأوامر والنواهي إذ لا معنى للأمر بما لا يكون فعلاً للمأمور ، ولا يدخل في قدرته بل ما لا يطيقه .

ومنها ــ بطلان الثواب والعقاب لأنه لا معنى لإثابة العبد على ما كان بخلق المثيب ولا لعقابه على ما كان بخلق المعاقب .

ومنها ــ بطلان فوائد الوعد والوعيد وإرسال الرسل وبعثة الأنبياء ، وإنزال الكتب من السماء ، إذ لا يظهر للترغيب والترهيب والحث على تحصيل الكمالات ، وإزالة الرذائل ، ونحو ذلك فائدة ، إلا إذا كان بقدرة العبد وإرادته تأثير في أفعاله ويتولى مباشرتها باستقلاله .

ومنها ــ بطلان الفرق بين الأفعال التي تطابق العقل والشرع على استحسانها واستحقاقها المدح في العاجل والثواب في الآجل،

---

(١) الموطأ ـ الجزء الثاني ٤٦ باب القدر حديث رقم ٦ .

والتي ليست كذلك كالكفر والإيمان وكالإساءة إلى الفقراء والإحسان، وكفعل النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الهداية والإرشاد ، وتمهيد قواعد الخيرات ، وفعل إبليس من الإضلال والإغواء ، وتزيين الشرور والشهوات ، وكالتكلم بالتسبيحات والدعوات المترتب عليها الثواب باستجابة ، والتكلم بالهزيانات والفحش والهجاء التي لا تورث إلا اللوم والعقاب ، لأن الكل بخلق الله تعالى من غير تأثير للعبد .

ومنها ــ بطلان الفرق بين الحركات التي تظهر من أعضاء العبد بقدرته وإرادته والتي تظهر منها بقدرة الغير وإرادته ، كما إذا حرك زيد يد عمرو مثلاً مع أن كل أحد يفرق بينهما بالضرورة [1].

الرد على تلك الشبهة :

الجواب عن الكل يقال فيه :

هذا هو متمسك المعتزلة العقلي ويبدو للناظر أنه قوي وملائم للمعقول ومنسجم مع التكاليف ولوازمها ، ولولا إلزام بعض أهل السنة للمعتزلة لكان مذهبهم هو الحق ، ولكن يقال للمعتزلة إن هذا الذي ذكرتم إنما يلزم الجبرية النافين لقدرة العبد واختياره ، والقائلين بأن العبد لا تتعلق قدرته بالفعل أصلاً .

وأن ما ذكره المعتزلة لا يرد به على الأشاعرة لأنهم يجعلون فعل العبد متعلقا بقدرته وإرادته واقعاً بكسبه وعقيب عزمه ، وإن كان بخلق الله تعالى عز وجل ، ولا يرد به على من يجعل قدرة العبد مؤثره لكن لا باستقلال بل بمرجع هو بمحض خلق الله تعالى ، على

---

(١) شرح المقاصد ـ الإمام العلامة مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني ـ المجلد الثالث ص ١٨٦ / ١٨٧ ط دار الكتب العلمية بيروت .

أن من الفسادات ما يلزم المعتزلة أيضاً ، كبطلان استقلال العبد بناء على وجوب الفعل وامتناعه لوجود المرجع أو عدمه وتعلق علم الله بوقوعه أو لا وقوعه وحاصل هذا الإلزام أنكم أيها المعتزلة تعترفون معنا بأن الله يعلم الشيء قبل وقوعه فليس علمه آنفا فلو جاريناكم وقلنا أن للعبد قدرة مؤثرة في عمله فهل يمكن للعبد أن يفعل غير معلوم الله أم لابد أنه يفعل طبق العلم .

فإذا قلتم أنه لابد فاعل بقدرته ما علم الله حصوله منه فلا يكون العبد حراً ومختاراً ، إذ المختار هو الذي يتمكن من الفعل أو الترك وليس للعبد كذلك لأن الله إن علم وقوع شيء منه وقع ، وإن علم عدم وقوع شيء منه لا يقع ، فأين تلك الحرية والاختيار اللذين أعطيتموهما للعبد ؟ .

إذ العبد الذي علم الله منه وقوع معصية إن أمكنه بقدرته تفادى وقوع هذه المعصية لزم المحال وهو انقلاب علم الله جهلاً ، وإن كان لابد له من فعل المعصية وفق العلم كان العبد مجبوراً .

وفي الحق أن هذا الإلزام قوي من جانب أهل السنة للمعتزلة .

وقد أجاب عن ذلك المعتزلة بأن العلم ليس من صفات التأثير بل هو من صفات الكشف على معنى أن العبد إذا فعل الشيء كان ذلك معلوماً لله تعالى ، فهو لا يسوق العبد على عمل المعلوم لله حتى يكون العبد مجبوراً .

ولكن الحق أن هذه الإشكالات واردة على المعتزلة لأن ما علم الله تعالى أنه يوجد كان واجب الوقوع ، وما علم الله تعالى أنه لا يوجد كان ممتنع الوقوع ، ولأنه إن لم يوجد رجحان الداعي امتنع

الفعل ، فإن وجد وجب فكان الإشكال وارداً عليهم في هذين المقامين، ولقد كان واحد من أذكياء المعتزلة يقول هذان السؤلان هما العدوان للاعتزال ولولاهما لتم الدست لنا [١].

الشبهة الثانية :

قول المعتزلة : أن فعل العبد لو كان بخلق الله تعالى ، لما كان متمكنا من الفعل البتة ، لأنه إن خلقه الله تعالى فيه كان واجب الحصول وإن لم يخلق الله تعالى فيه كان ممتنع الحصول ولو لم يكن العبد متمكناً من الفعل والترك لكانت أفعاله جارية مجرى حركات الجمادات ، وكما أن البديهية جازمة بأنه لا يجوز أمر الجماد ونهيه ، ومدحه وذمه وجب أن يكون الأمر كذلك في أفعال العباد ، ولما كان ذلك باطلاً علمنا كون العبد موجداً .

الرد على تلك الشبهة :

يقال للمعتزلة إن الذي قدمتموه حجة لكم هو حجة عليكم ، لأن الأمر إن توجه حال استواء الداعي ففي تلك الحال امتنع الترجيح، وإن توجه حال الرجحان فهناك الراجح واجب والمرجوح ممتنع، ولأن ذلك الفعل إن علم الله وجوده فهو واجب ، وإن علم الله عدمه فهو ممتنع ، فثبت أن الإشكال وارد على الكل ، وإن الجواب هو أن الله لا يسأل عما يفعل [٢].

---

(١) شرح المقاصد ـ سعد الدين التفتازاني ـ المجلد الثالث ص ١٨٧ ، وانظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ـ الرازي ـ ص ١٩٩ .

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ص ١٩٥ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

الشبهة الثالثة :

ترى المعتزلة أن الله تعالى لو كان موجداً لأفعال العباد لكان فاعلاً لها ، لأن معناهما واحد، ولو كان فاعلاً لها لكان متصفاً بها لأنه لا معنى للكافر والظالم مثلاً إلا فاعل الكفر والظلم وحينئذ يلزم أن يكون الباري تعالى وتقدس كافراً ظالماً فاسقاً آكلاً شارباً قائماً قاعداً إلى غير ذلك من الفواحش التي لا يستطيع العقل إجراءها على اللسان ، بل إخطارها بالبال [١] .

الرد على تلك الشبهة :

يقال للمعتزلة هذا الإلزام غير صحيح ، ولا أدري كيف ذهب عليهم أن مثل هذه الأسامي إنما تطلق على من قام به الفعل لا من أوجد الفعل ، لأن كون الباري تعالى خالقاً لا يوجب أن يتصف بما خلق من ظلم وطاعة ومعصية لأن هذه الصفات إنما هي لمن كانت به ، فالظلم مثلاً : صفة للظالم ، ألا ترى أن الأسود صفة لمن قام به السواد ، ولا يكون صفة لله تعالى ، وإن كان تعالى خالق السواد ، فكذلك الظلم والطاعة والمعصية كلها صفات لمن حلت به ولا يجوز ذلك وصف خالقها بها .

كذلك الظلم والجور لا يكون ظلما ولا جوراً إلا الأمر .. وهذا كله يصح الوصف به لمن فوقه آمر أمر وناه نهي وهم الخلق ، وأما الخالق جل شأنه فليس فوقه آمر ولا ناه ، فلا يصح وصفه بشيء من هذا [٢].

---

(١) شرح المقاصد ـ التفتازاني ـ ص ١٨٨ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) انظر شرح المواقف ـ التفتازاني ج٣ ص ١٨٨ ـ مرجع سابق وانظر منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية ـ ابن تيمية ج١ ص ٣٢١ ط مكتبة العروبة بالقاهرة ، وانظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، الباقلاني ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ط مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

فإذا كان لا يلزم من كونه تعالى خالقاً للجور والظلم والفسق والكفر والأكل والشرب وصفه بشيء منها ، إضافة إلى أنه لا يصح وصفه بهذه الصفات لأنها تستلزم أن يكون فوقه تعالى آمر والله تعالى منزه عن ذلك وأن هذه الصفات هي صفة لمن اتصف بها وقامت به وهو الإنسان الذي حلت به تلك الصفات ، لا صفة لمن أوجد وخلق تلك الصفات تبارك وتعالى .

ثالثاً : مذهب الأشاعرة :

الأشاعرة [١] : فرقة تنسب إلى أبي الحسن الأشعري ومذهب الأشاعرة في أفعال العباد الاختيارية أنها واقعة بقدرة الله سبحانه وتعالى وحدها ، ليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سبحانه وتعالى أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً ، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً واحداثاً ومكسوباً للعبد ، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له [٢].

هذا هو ما قاله الإمام " عضد الدين الإيجي " ويتبين منه أن مذهب الأشاعرة يقوم على الكسب ومعناه أن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله تعالى لأنها واقعة في عموم قدرته وإرادته وعلمه ، وأن تحصيلها بقدرة الإنسان وإرادته يعد كسباً ، وهذا الكسب هو مناط

---

(١) هم أصحاب أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ، وكان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ولد في البصرة عام ٢٦٠ هـ ، وتلقى مذهب الاعتزال وتقدم فيه ثم رجع عنه وجاهر بخلافتهم وتوفى سنة ٣٢٤هـ (انظر البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص ١٨٧) .

(٢) شرح المواقف ـ للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي تأليف السيد الشريف على بن محمد الجرجاني ـ المجلد الرابع ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

التكليف والثواب والعقاب .

وأن مذهب الأشاعرة هو التوسط بين الجبر والاختيار ، فالجبر يؤدي إلى إبطال التكليف والثواب والعقاب ، ومذهب الاختيار يؤدي إلى وجود خالقين الله ــ تبارك وتعالى ــ والإنسان ، فالله خالق للإنسان ، والإنسان خالق لأفعاله الاختيارية ، وهذا باطل فقد ثبت أن الله خالق كل شيء قال تعالى " **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**"[١] .

وقد جاء في شرح عبد السلام على الجوهرة " أن فعل العبد الاختياري مخلوق لله تعالى ، وليس لقدرته علاقة إلا على سبيل الكسب ، فالله عز وجل موجد له ، والعبد كاسب له ومتصف به ، وهذا الكسب هو مدار التكليف والثواب والعقاب ومن أجله أرسلت الرسل وبسببه تمدح أو تذم [٢].

فالأشاعرة يرون أن " إرادات الله تعالى واحدة قديمة أزلية متعلقة بجميع المرادات من أفعاله الخاصة ، وأفعال عباده من حيث أنها مخلوقة له ، لا من حيث أنها مكتسبة لهم . فعن هذا قال : أراد الجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها ، وكما أراد وعلم أراد من العباد ما علم ، وأمر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ ، فذلك حكمه وقضاؤه وقدرة الذي لا يتغير ولا يتبدل ، وخلاق المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع [٣] .

وقد اشتهر بين العلماء خفاء معنى الكسب المراد عند

---

(١) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٢) شرح عبد السلام على الجوهرة المسمى اتحاف المريد ص ٨٧ تحقيق محمد يوسف الشيخ .

(٣) الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ تحقيق محمد سعيد كيلاني الجزء الأول ص ٩٦ ط دار صعب بيروت .

الأشعري حتى قيل : أخفى من كسب الأشعري ! .

لأن ما ورد في شأن تعريفه لا يكاد يحل المشكلة فالكسب ــ كما قيل ــ هو مقارنة قدرة العبد الحادثة للفعل مع قدرة الله تعالى من غير صحة انفراد أو تأثير لهذه القدرة الحادثة .

ويقول الإمام السنوسي شارحاً لهذا المعنى :

لا تأثير لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية كحركاتنا ومكناتنا ، وقيامنا وقعودنا ومشينا ونحوها ، بل جميع ذلك مخلوق لمولانا جل وعز بلا واسطة ، وقدرتنا أيضاً مثل ذلك عرض مخلوق لمولانا جل وعز ، تقارن تلك الأفعال الاختيارية ، وتتعلق بها من غير تأثير لها في شيء من ذلك أصلا .

وإنما جرى الله تعالى العادة أن يخلق عند تلك القدرة لا بها ما شاء من الأفعال ، وجعل الله سبحانه وجود تلك القدرة مقارنة للفعل شرطاً في وجوب التكليف .

وهذا الاقتران والتعلق لهذه القدرة الحادثة بتلك الأفعال من غير تأثير لها أصلاً هو المسمى في الاصطلاح وفي الشرع بالكسب والاكتساب ، وبحسبه تضاف الأفعال إلى العباد كقوله تعالى " **لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** " [1].

وأما الاختراع والإيجاد فهو من خواص مولانا جل وعز، لا يشاركه فيه شيء سواه تبارك وتعالى ، ويسمى العبد عند خلق الله تعالى فيه هذه القدرة المقارنة للفعل مختاراً ، وعندما يخلق تعالى فيه الفعل مجرداً عن مقارنة تلك القدرة الحادثة يسمى ــ مجبوراً

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

ومضطراً كالمرتعش مثلاً [١].

ويحقق العلامة " سعد الدين التفتازاني " مسألة الخلق والكسب فيقول : " إن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل : كسب . وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك : خلق . والمقدور الواحد داخل تحت قدرتين ، لكن بجهتين مختلفتين فالفعل مقدور لله بجهة الإيجاد، ومقدور للعبد بجهة الكسب .

ثم يذكر الفرق بين الخلق والكسب فيقول : الكسب ما وقع بآلة ، والخلق لا بآلة ، والكسب مقدور وقع في محل قدرته ، والخلق مقدور وقع لا في محل قدرته ، والكسب لا يصح انفراد القادر به ، والخلق يصح انفراده [٢] .

وبهذا ينتهي الحديث عن مذهب الأشاعرة في مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية ، وإن مذهب الأشاعرة هو مذهب أهل السنة والجماعة ، كما ذكر السبكي في طبقاته " حيث يقول " واعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأياً ، ولم ينشأ مذهباً وإنما هو مقرر لمذهب السلف مناضل عما عليه صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه ، فصار يقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً ، وقد ذكر شيخ الإسلام " عز الدين بن عبد السلام " أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والحنفية والمالكية والفضلاء والحنابلة " [٣].

وبهذا ينتهي الحديث في تلك البحث وهو عقيدة القضاء

---

(١) حاشية الدسوقي على شرح العقيدة الصغرى ص ١٦٤ ط سنة ١٣٠٥هـ .

(٢) شرح العقائد النسفية ـ التفتازاني ـ تحقيق د / أحمد حجازي السقا ـ ص ٥٨ ـ ٥٩ ط الكليات الأزهرية .

(٣) طبقات الشافعية ـ السبكي ـ ج٢ ص ١٥٤ .

والقدر ونختمه برأي السلف الصالح ورأي الإسلام .

أولاً : رأي السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين فهم يرون أن الإيمان بالقضاء والقدر واجب وأنه عقيدة من العقائد الإسلامية وأنه لا يجوز البحث فيه فقد جاء رجل إلى سيدنا على بن أبي طالب ــ رضى الله عنه ــ فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر . فقال : طريق دقيق لا تمش فيه . قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال بحر عميق لا تخض فيه . قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال : سر خفي لله لا تفشه .

ويقول الإمام علي رضى الله عنه " إن الله أمر تخييراً ونهي تحذيراً وكلف تيسيراً ، ولم يعص مغلوباً ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا ، ولم يخلق السموات والأرض باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار [١] .

ويقول الإمام " أبو حنيفة " رضى الله عنه ــ في القدر " هذه مسألة قد استعصت على الناس فأني يطيقونها ، هذه مسألة مقفلة فقد ضل مفتاحها [٢].

ويقول الإمام جعفر الصادق رحمه الله : إن الله تعالى أراد بنا شيئا ، وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا " [٣] .

ويقول : الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس ، كلما ازداد نظراً ازداد حيرة " .

وعن وهب بن منبه أنه قال " نظرت في القدر فتحيرت ، ثم

---

(١) العقيدة الإسلامية الشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٥ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الملل والنحل ـ الشهرستاني ـ ج١ ص ١٦٦ ط / دار صعب

نظرت فيه فتحيرت ، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه ، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به " .

ثانياً : رأي الإسلام في القضاء والقدر :

١ ــ قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه [١].

٢ ــ قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ " إذ ذكر القدر فأمسكوا " [٢].

هذا هو التوجيه النبوي السديد في أمر المسلمين بالتمسك بالكتاب والسنة ونهيهم عن الحديث في القدر .

---

(١) موطأ الإمام مالك الجزء الثاني ـ كتاب القدر ص ٨٩٩ حديث رقم ٣ ط دار إحياء الكتب العربية .

(٢) رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود وعن ثوبان مولى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورمز له السيوطي بالحسن ـ السراج المنير شرح الجامع الصغير ١ / ١٢٠ .

نتائج البحث

أولاً : أن الإيمان بالقضاء والقدر واجب وهو جزء من الإيمان بالله عز وجل ، وعقيدة من العقائد الإسلامية .

ثانياً : أن من مزايا الإيمان بالقضاء والقدر أن يعيش الإنسان في سعادة دائمة لأنه مطمئن على حاضره ومستقبله يأخذ بالأسباب ويترك النتيجة على الله عز وجل .

ثالثاً : لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر في ارتكاب المعاصي ، أو التنصل من المسئولية أو ترك الأمر الواجب ، ولكن يجوز الاحتجاج بالقدر في الحالات التي لا يكون فيها إبطال الشرع ولا معارضة له ، وذلك يكون بعد وقوع الذنب والتوبة منه، والندم عليه وعدم العودة له وذلك مثل احتجاج آدم وموسى عليهما السلام .

رابعاً : الدعاء ينفع مع القدر ، فهو يرد القدر كما جاء في الحديث .

خامساً : أن المسلم مأمور بالرضا بالقضاء والقدر في كل ما أحب وكره وقيل يجب الرضا بالقضاء دون المقضي ، والرضا بالقدر دون المقدر .

سادساً : الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب ولا يدعو إلى التواكل وترك العمل واللامبالاه ، وإنما الدين الإسلامي يدعو إلى العمل والجد والاجتهاد والأخذ بالأسباب المتاحة . ثم بعد ذلك يتوكل العبد على الله عز وجل .

سابعاً : يجب الإمساك عند الحديث عن القضاء والقدر ،

وعدم الخوض فيه عملاً بسنة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي يقول إذ ذكر القدر فأمسكوا .

ثامناً : إن مذهب الجبرية يرى أن الإنسان مجبور في أعماله ولا اختيار له ، فهو كريشة معلقة في السماء تحركها الرياح يميناً وشمالاً ، وهو مذهب باطل بالعقل لأنه لا يثبت للعبد حرية ولا اختياراً ويدعو إلى التعطيل وترك العمل ، وباطل بالنقل بدليل قوله تعالى " اعملوا ما شئتم " وقوله تعالى " وافعلوا الخير " .

وهذا المذهب يترتب عليه إبطال التكليف والثواب والعقاب وإرسال الرسل وإنزال الكتب .

تاسعاً : أن القدرية فرقتان ،الفرقة الأولى أتباع"معبد الجهني" و " غيلان الدمشقي " وهم القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير، وهذه الفرقة قد انقرضت ولم يكتب لها البقاء.

والفرقة الثانية وهم " المعتزلة " وهم أخف وطأة من القدرية الأولى فقد أثبتوا لله عز وجل العلم الشامل والقدرة المطلقة، ولكنهم يقولون إن العبد هو الخالق لأفعال نفسه والقدرية هم مجوس هذه الأمة وأنهم ملعونون لأنه قد ثبت من خلال النصوص القطعية أن الله عز وجل هو الخالق لكل شيء وأن العبد ليس خالقاً لأفعال نفسه .

عاشراً : أن الأشاعرة مذهبهم وسط بين الجبرية والقدرية، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم المثبتون للقدر والقائلون بالكسب ، وأن المولى عز وجل هو الخالق لأفعال العباد ، وأن العبد هو كاسب لتلك الفعل بقدرته وإرادته وعزمه وتصميمه على الفعل وهذا المذهب هو المتفق مع العقل والنقل إذ يثبت للعبد حرية واختياراً وبه يصح التكليف والثواب والعقاب .

وفي الختام نقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يقع في ملكه إلا ما أراد ، لأنه لو وقع في ملكه غير ما أراد لكان مقهوراً ولو كان مقهوراً لكان عاجزاً ، والعجز نقص ، والنقص على الله محال .

فقد ثبت من خلال الأدلة العقلية والنقلية أن الله عز وجل متصف بكل كمال يليق بذاته سبحانه وتعالى ، ومنزه عن كل نقص .

وأخيراً نقول : " **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** " (١).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

أحمد مصطفى على حمد

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بقنا

---

(١) سورة آل عمران آية ٨ .

مراجع البحث

١ ــ القرآن العظيم .

٢ ــ الإسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت ــ ط / دار الشروق

٣ ــ الإعلام للزركلي طبعة بيروت .

٤ ــ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ــ أبو بكر محمد بن الطيب بن القاسم الباقلاني ط مؤسسة الخانجي بالقاهرة .

٥ ــ البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ط بيروت .

٦ ــ التمهيد في أصول الدين ــ أبو المعين النسفي ط / دار الثقافة والنشر بالقاهرة .

٧ ــ التفكير الفلسفي في الإسلام ــ عبد الحليم محمود ط دار المعارف .

٨ ــ تبسيط العقائد الإسلامية ــ حسن أيوب ط دار التراث العربي .

٩ ــ التعريفات للجرجاني ط دار الرشاد .

١٠ــ التمهيد للباقلاني ط بيروت .

١١ــ التسهيل في علوم التنزيل ــ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ط المكتبة الوهبية .

١٢ــ تحفة المريد على جوهرة التوحيد ــ شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري ــ ط الشركة المصرية للطباعة بالقاهرة .

١٣ــ الجامع لأحكام القرآن الكريم ــ القرطبي ــ ط دار الريان للتراث بالقاهرة .

١٤ــ حاشية الدسوقي على شرح العقيدة الصغرى ط سنة ١٣٠٥

١٥ــ روح المعاني للألوسي ط المطبعة المنيرية .

١٦ــ زاد المسير في علوم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن ــ الجوزي ط المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ١٩٦٤م .

١٧ــ سنن أبي داود ط مصطفى الحلبي .

١٨ــ سنن الترمذي ط دار الفكر .

١٩ــ السيرة النبوية للشيخ عبد المقصود نادر ، والشيخ الطيب النجار .

٢٠ــ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة التعليل ــ ابن قيم الجوزية ــ تحرير الحساني حسن ط مكتبة التراث بالقاهرة .

٢١ــ شرح العقيدة الواسطية ــ شيخ الإسلام ابن تيمية ط مكتبة التراث الإسلامي .

٢٢ــ شرح المقاصد ــ سعد الدين التفتازاني ــ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢٣ــ شرح العقيدة الطحاوية ــ أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي ط دار الفكر العربي .

٢٤ــ شرح الأصول الخمسة ــ قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد ــ تعليق أحمد بن الحسين ــ تحقيق د / عبد الكريم عثمان ط مكتبة وهبة .

٢٥ــ شرح المواقف ــ عبد الرحمن الإيجي ط دار الكتب العلمية بيروت .

٢٦ــ صحيح البخاري بحاشية السندي ط دار إحياء الكتاب العربي .

٢٧ــ صحيح مسلم ــ ط دار إحياء التراث العربي .

٢٨ــ عقيدة المسلم ــ محمد الغزالي ط دار الدعوة .

٢٩ــ عقيدة المؤمن ــ أبو بكر الجزائري ط المكتبة التوفيقية.

٣٠ــ العقائد الإسلامية ــ سيد سابق ط دار الطباعة .

٣١ــ العقيدة الدينية وأهميتها في حياة الإنسان د / محمود حمدي زقزوق ، هدية مجلة الأزهر ، رجب ١٤١٥هـ .

٣٢ــ عقيدة المؤمن في ضياء الكتاب المبين د / طه عبد السلام خضير ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٣٣ــ العقيدة الإسلامية ــ الشيخ محمد أبو زهرة ــ ط مجمع البحوث الإسلامية .

٣٤ــ عقائد وأخلاق ــ لجنة من كلية أصول الدين بالقاهرة .

٣٥ــ الفرق بين الفرق ــ البغدادي ط دار التراث .

٣٦ــ فجر الإسلام ــ أحمد أمين ــ ط دار الشباب ومكتبة النهضة.

٣٧ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ــ ابن حزم ــ تحقيق د / محمد إبراهيم نصر ، د / عبد الرحمن عميرة ط عكاظ .

٣٨ــ القضاء والقدر بين الفلسفة والدين د / عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي .

٣٩ــ كنز العمال ــ المتقى الهندي ط مؤسسة الرسالة .

٤٠ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ ط دار المعارف .

٤١ــ المفردات في غريب القرآن ــ أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ط مصطفى البابي الحلبي .

٤٢ــ مفاتيح الغيب ــ الرازي ــ ط عبد الرحمن محمد ط دار الباز بمكة المكرمة .

٤٣ــ المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ط دار المعارف .

٤٤ــ الملل والنحل ــ الشهرستاني ط دار صعب .

٤٥ــ مسند الإمام أحمد ط مؤسسة الرسالة .

٤٦ــ المغني في أبواب العدل والتوحيد ــ القاضي عبد الجبار ط دار الثقافة والإرشاد ، ط / دار الكتب .

٤٧ــ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .